الرياضة الروحية لأخوية الشراكة والتحرر

«ما يثير دهشتي، يقول الله، هو الرجاء»

ريميني، ١٢ - ١٤ إبريل ٢٠٢٤

«ما يثير دهشتي، يقول الله، هو الرجاء»

الرياضة الروحية لأخوية
الشراكة والتحرر

ريميني ٢٠٢٤

صورة الغلاف: النحات لوكا ديلاروبيا، تفصيلة من زيارة العذراء مريم لقريبتها أليصابات، منحوتة من الفخار الزجاجي، ترجع لعام ١٤٤٥ تقريباً، بكنيسة سان چوڤاني فورتشيڤيتاس، بيستويا، إيطاليا. © فوتو سكالا، فلورنسا

«بمناسبة الرياضة الروحية لأخوية الشراكة والتحرر التي تحمل عنوان: « ما يثير دهشتي، يقول الله، هو الرجاء»، يرسل قداسة البابا فرنسيس (Papa Francesco) تحياته القلبية آملاً أن تثير أيام الصلاة والتأمل رغبة المشاركين في السماح للمسيح القائم من بين الأموات أن يتملك كيانهم كي لا يقف الانهزام أو الفشل أو الألم عائقاً أمام مسيرتهم نحو ملء الحياة بفتح قلوبهم على الثقة. ويؤكد قداسة البابا بتلك الأمنيات على ذكر جميع المشاركين في صلاته ويرسل عن طيب خاطر بركته الرسولية التي هي عربون كل خير منشود».

الكاردينال بييترو بارولين (Pietro Parolin)، أمين سر دولة قداسة البابا

٣ إبريل ٢٠٢٤

مساء الجمعة ١٢ إبريل ٢٠٢٤

فرانز شوبرت

موسيقى فانتازيا لآلة البيانو مصنف ١٥ ، دي ٧٦٠ «خيالات الرحالة»

البيانو، ألفريد برينـدل

« الروح اللطيف» رقم ٣٤، (فيليبس) العالمية

التحية الافتتاحية

لداڤيدي بروسبيري

(Davide Prosperi)

لنبدأ بالتضرع إلى الروح القدس حتى يرافقنا في مسيرة هذه الأيام دون أن يتركنا أبداً تحت رحمة أنفسنا، ولنطلب منه بكل ما فينا من طاقة وتواضع نعمة الاستعداد للدعوة التي يجددها لكل واحد منا بجمعنا اليوم في هذا الاجتماع لأخويتنا.

تعال أيها الروح القدس

أقرأ عليكم برقية قداسة البابا:

«بمناسبة الرياضة الروحية لأخوية الشراكة والتحرر التي تحمل عنوان: « ما يثير دهشتي، يقول الله، هو الرجاء»، يرسل قداسة البابا فرنسيس تحياته القلبية آملاً أن تثير أيام الصلاة والتأمل رغبة المشاركين في السماح للمسيح القائم من بين الأموات أن يتملك كيانهم كي لا يقف الانهزام أو الفشل أو الألم عائقاً أمام مسيرتهم نحو ملء الحياة بفتح قلوبهم على الثقة. ويؤكد قداسة البابا بتلك الأمنيات على ذكر جميع المشاركين في صلاته ويرسل عن طيب خاطر بركته الرسولية التي هي عربون كل خير منشود. الكاردينال بييترو بارولين، أمين سر دولة قداسة البابا».

نشعر مجدداً بالامتنان العميق لقداسة البابا فرنسيس على قربه الأبوي الذي لا يتوقف عن إظهاره لمسيرتنا. فلنجعل أمنياته أمنياتنا، لكي يسمح كل واحد منا بأن يملأ كيانه المسيح القائم من بين الأموات في كل لحظة من هذه الأيام.

بعد أن تغلبنا على القيود التي فرضتها جائحة كورونا والتي منعتنا جميعاً في السنوات الماضية من أن نجتمع سوياً، قررنا هذا العام أن نعود لنعيش الرياضة الروحية بحضورنا الشخصي، هنا في مدينة ريميني. ومن الواضح أننا كنا على معرفة ودراية بالصعوبات والتضحيات التي كان سيتطلبها هذا الاختيار من الكثيرين منا حتى خلال هذه الأيام – خاصة فيما يتعلق بالسفر، لذلك فلنوصي أنفسنا من الأن بعيش هذه اللحظات كفرصة للانغماس في الصمت وللتعمق في فهمنا للمحتوى الذي سنستمع إليه في هذه الرياضة الروحية –. فقد أردنا أن نقترح على أنفسنا إقتراحاً قبلناه بكل التزام. والاقتراح هو هذا: أن نعيش معاً حدث يجمعنا مرة كل عام وبالحضور الشخصي أيضاً بقدر الإمكان، حتى نُحيي ونعيش ذكرى انتمائنا إلى هذه الرِفقة والصُحبة بقوة أكبر على مدار بقية العام. فقد أدهشنا تجاوب الكثيرين كما أدهشتنا الشهادات الجميلة للعديد من الأصدقاء الذين قدموا تضحيات كبيرة ليكونوا معنا هنا. صحيح أنه من بين الرسائل العديدة التي تلقيناها هناك من يشكو من الصعوبات والتقدم في السن والمشاكل الصحية والمشاكل اللوجستية والاقتصادية وفكرة الاضطرار إلى العودة إلى العمل يوم الاثنين الذي هو أمر متعب حقاً، بل إن البعض أشار إلى زيادة استهلاك الطاقة والتلوث البيئي... ولكن على الرغم من كل شيء، جئنا إلى هنا ونحن واثقين من أسباب رفقتنا وشركتنا أكثر من أسباب حيرتنا (التي هي مفهومة أيضاً). وهذه بالنسبة لي هي أول علامة كبيرة على وعي شعب ينمو ولا يريد أن يبقى محبوساً داخل جدران مقياسه الخاص. فهناك العديد من شهادات العرفان والامتنان على هذه الإمكانية التي أُعيدت إلينا بعد سنوات قليلة. دعوني أقرأ عليكم إحدى هذه الرسائل التي أدهشتني لأنها تصف مسار ومدى التغيير:

«وصلت منذ بضعة أيام الرسالة الخاصة بالرياضة الروحية في شهر إبريل. وعند قراءتي للجزء المخصص عن هؤلاء الذين لا يستطيعون الحضور، وأنا واحد منهم بسبب مزيج من السن والأمراض المختلفة، قرأت أنه مطلوب منهم الشرح باختصار أسباب عدم إستطاعتهم الحضور، وإذا قُبِلت، فعليهم القيام بالدفع (مبلغ للمساهمة الفردية في تكاليف إقامة الرياضة الروحية)، الذي، علاوة على ذلك، تضاعف ثلاث مرات مقارنة بسنوات جائحة كورونا. وكان رد فعلي الأول هو الغضب. ومنْ كان سيحلل طلبي؟ وبأي صفة وبأي شروط وبأي معايير؟ والخصوصية؟ فقد كانت باختصار خلاصة اعتراضاتي، والهزلية منها أيضاً. وكان رد الفعل الثاني هو التمرد. وقلت لنفسي: ''لن أذهب وسأقرأ الكتيب، إذا كان هذا مناسباً''.

لكن مع مرور الوقت، شعرت بعدم ارتياح. إذ لم أفكر في أبعد من ذلك وواجهت نفسي بموضوعية وبحتمية وجود تفسير لذلك. وبالتحديد، ربما كان الاعتراض الأكبر هو أنا، والذي كان في داخلي. وعندئذ تفجر شعوري بالامتنان والعرفان. فأنا متأكد من أهمية الرياضة الروحية، ومتأكد من أهمية التضحية، ومتأكد من أهمية حضورها والبقاء فيها، بالطبع.... فعدت إلى الوراء بدءاً من فاتحة الرسالة التي رافقت التعليمات الخاصة بالرياضة الروحية، مروراً بالرسائل المختلفة لدافيد بروسبيري، ولقائه بقداسة البابا مع المونسينيور فيليبو سانتورو (Filippo Santoro) وقبل ذلك لقاء

البابا مع الحركة كلها، والرياضة الروحية في العام الماضي: باختصار، السلوك الجِذري المطلوب ليس كفرض وواجب، بل كالتزام تام وكامل لأنه أساس حياتي، القادر على تخطي كل اعتراض وعقبة التشبه التقليدي والقادر على الوصول إلى القلب. فهذا مطلوب منا وهو أمر هام لحياتنا. وعلينا القيام بذلك بفرح وسرور كاملين. فبعد الغضب والتمرد، يأتي الفرح والامتنان. ورغم عدم إمكانية وجودي جسدياً في ريميني، إلا أنني أقدم كل ذلك القليل الذي هو أنا من أجل مجد الله ووحدة الحركة».

إنه لأمر صحيح أحياناً عندما يبدو لنا أن وتيرة الحياة السريعة، أو وسائل الراحة التي اعتدنا عليها، أو بعض القيود التي ربما ترجع الى التقدم في السن، تجعلنا نستسلم أحياناً إلى حقيقة أننا فقدنا ذلك الشعور بالانطلاق الذي كان في مطلع شبابنا، والذي كان يضع دائماً سحر وجاذبية المُثل العليا في المقدمة وقبل أي حساب؛ فقد فقدنا ذلك التوجه وذلك الموقف الإنساني الذي من أجله انطلقنا ذات مرة في رحلة حج طويلة وشاقة دون حسابات كثيرة، وحتى بتحمل المجازفة، لأن الأسئلة التي كان علينا أن نضعها بين يدي الرب كانت مُلِحة ومُهِمة للغاية. ومع ذلك، فإن رؤيتنا هنا اليوم مجتمعين معاً تُظهر لنا أن ذلك الشعور بالانطلاق الذي انبثق في قلوبنا بفضل لقائنا مع المسيح لم يمت، بل على العكس: حتى مع كل مشاكلنا وصعوباتنا وأفراحنا وأحزاننا، فإن هذه الشعلة لاتزال متوهجة.

إن تعدادنا نحن المشاركين في الرياضة الروحية بالحضور الشخصي في إيطاليا هو ٢١٠٠٠ ألف مشارك. كما أن هناك أصدقاء آخرون يشتركون معنا مع جماعاتهم من ٢١ دولة بالتواصل المرئي عبر الانترنت، وفي الأسابيع القادمة سيعيش أصدقاء وجماعات في ٧٠ دولة أخرى هذه الرياضة الروحية بنسختها المسجلة في مواعيد أخرى لاحقة؛ كما أن هناك ترجمة فورية للرياضة الروحية بـ ٦ لغات. بالإضافة إلى ذلك، يشارك حوالي ٣٠٠٠ شخص بالتواصل المرئي عبر الانترنت من منازلهم نظراً لعدم قدرتهم على الحركة. هذه هي الصورة العامة للحدث. إنها مشاركة تفوق توقعاتنا، بل إن عددنا أكبر من عدد المشاركين قبل جائحة كورونا لدرجة أنه طُلب من الأمانة العامة العمل الإضافي لتمكين الجميع من المشاركة، قدر الإمكان، حتى النهاية. شكراً لكم أيضاً على عملكم هذا!

يجب أن أقول لكم أنني متأثر حقاً. فموضوع الرياضة الروحية هذا العام هو الرجاء: وهذه هي بالضبط العلامة الأولى للرجاء: شعب يعيش ويرغب في أن يعيش ويختبر الوحدة بشكل ملموس، تلك الوحدة التي دعانا إليها قداسة البابا في الرسالة التي أرسلها إلينا في الثلاثين من يناير الماضي.

كما تعلمون، أنه سيتم تكريس يوبيل عام ٢٠٢٥ حول فضيلة الرجاء. لذلك دعونا نعيش هذه الأيام أيضاً كمحطة في مسيرتنا إلى ذلك الحدث. فقد فهمت دائماً كلمات يسوع للشاب الغني: «إذا أردتَ أنْ تكونَ كامِلاً، فاذهَبْ وبِـــعْ ما تملِكُهُ ووَزِّعْ ثمَنَهُ على الفُقراءِ، فيكونَ لكَ كنزٌ في السَّماواتِ، وتعالَ اتْبَعْني!»[1]. وهذه على وجه التحديد دعوة إلى الرجاء. فمن المفارقات، في الواقع، نرى في أغلب الأحيان أن أكبر عقبة أمام اختبار الرجاء الحقيقي في الحياة هي عندما نضع رجاءنا في ما نملكه، وفيما لدينا بالفعل. وهنا يقول أرميا النبي: «مَلعونٌ مَنْ يتَوكَّلُ على الإنسانِ ويَجعَلُ البشَرَ سنَدًا لَه. ويَصرِفُ قلبَهُ عَنِ الرّبِّ. فيكونُ مِثلَ النَّبْتِ في الصَّحراءِ، وَلا يَرى الخيْرَإذا أَقبَلَ يَسكُنُ الفَلاةَ الشَّديدةَ الحَرِّ والأرضَ المالِحةَ التي لا تُسكَنُ»[2]. إذ يشير عنوان الرياضة الروحية بالتحديد إلى هذه الصعوبة: فالله ذاته يشعر بالاندهاش بأنه كلما تقدمنا في الطريق، كلما بدا لنا أن الرجاء أكثر صعوبة. وهذا هو السبب

[1] راجع مت ١٩، ٢١؛ مر ١٠، ٢١

[2] أرميا ١٧: ٥ – ٦

في أننا كثيراً ما نحاول أن نُخدِرْ صرخة قلوبنا التي تتوق إلى اللامتناهي بملئها بإنتظار أشياء صغيرة، لملء الفراغ الناجم عن غياب الرجاء الذي ندركه. وهذه ليست مشكلة أولئك الذين ليس لديهم إيمان فقط، بل هي أيضاً مشكلتنا جميعاً: فمن وجهة نظر معينة، هي العَرَضْ المأساوي لأخطر مرض في عصرنا الحالي.

إن موضوع الرجاء – كما يتذكر الكثير منا – ليس موضوعاً جديداً. ففي عام ٢٠٢١، كان هو عنوان الرياضة الروحية «هل هناك رجاء؟» [٣]. لماذا نطرحه مرة أخرى بعد هذه الفترة القصيرة؟ لسببين. الأول هو أننا، بعد تناولنا وتعاملنا مع موضوع «الإيمان» طوال هذا العام، نريد أن نواصل مسيرة التعمق في الفضائل اللاهوتية، متبعين تعليم الأب چوساني. والسبب الثاني لأن المسألة أصبحت – إن أمكننا القول – أكثر مأساوية. نحن لا نشعر بأننا «نائمون»، كما جاء في التقرير الأخير لمركز **Censis** للدراسات الاستثمارية والاجتماعية عن الوضع الحالي. نحن لا نشعر بأننا أفضل من غيرنا، ولكننا ندرك بأننا نسير على طريق يعلّمنا ألا نستسلم لذلك الموقف غير المعقول للهروب من الواقع، والذي يبدو أنه الترياق الوحيد لغياب الرجاء. لهذا السبب نسأل أنفسنا: هل يمكن للمرء أن يكون له رجاء في العالم الذي نعيش فيه، في ظل الحروب والعنف والدمار، وفي بحر الشرّ الذي تصارع فيه عائمتنا الخشبية الأمواج للبقاء طافيةً على سطح الماء؟ هذا هو السؤال الذي نحن مدعوون للدخول في جوهره هذه الأيام: هل لا يزال بإمكان المرء أن يكون لديه رجاء معقول؟

قبل أن أعطي الكلمة للمونسنيور چوڤاني باكّوزي (**Giovanni Paccosi**)، الذي قَبِل دعوة دياكونية الأخوية لوعظنا في هذه الرياضة الروحية (ولهذا نشكره)، واسمحوا لي أن أقول بضع كلمات لتقديمه لمن لا يعرفه منكم بعد. الأب چوڤاني هو أسقف أبرشية سان مينياتو، في إقليم توسكانا، وعضو في دياكونية الأخوية المركزية، وهو المسؤول الرعوي عن منطقة أمريكا اللاتينية، حيث كان كاهناً إرسالياً لعدة سنوات، وتحديداً في دولة بيرو.

لماذا هذا الاختيار؟ في السنوات الأخيرة من حياته، كان الأب لويچي چوساني (**Luigi Giussani**) يستعين بالعديد من قادة الحركة كل عام للوعظ في الرياضة الروحية التي هي أهم فعالية للأخوية. وهذه هي الطريقة التي نريد أن نتبعها الآن أيضاً، في مسار متواصل ملئ بالامتنان لتاريخنا. هنا، يشارك الأب چوڤاني وغيره من الذين سيأتون بعده للقيام بمسؤولية الوعظ في الرياضة الروحية كتعبير عن القيادة الجماعية.

اسمحوا لي مرة أخرى أن أشكر الأب ماورو ليبوري (**Mauro Lepori**) الذي قام بالوعظ في الرياضات الروحية في العامين الماضيين، والتي كانت هامة جداً وجاءت بشكل خاص في وقت دقيق من مسيرتنا. كما أشكره على وجوده هنا معنا؛ وسيحتفل بعد قليل بالقداس الالهي، تأكيداً على قصة صداقة وشركة عظيمة مستمرة.

وأخيراً، وكدليل آخر على شركتنا هذه التي يتم التعبير عنها بالوحدة مع الكنيسة بأسرها، أشكر نيافة الكاردينال كيڤين فاريل (**Kevin Farrell**)، الذي سيكون حاضراً مرة أخرى هذا العام في الرياضة الروحية للأخوية: وغداً سيكون معنا وسيحتفل بالقداس الالهي.

---

[٣] الأب يوليان كارون، «هل هناك رجاء؟ جاذبية الاكتشاف»، دار النشر عالم جديد، ميلانو ٢٠٢١

واسمحوا لي أن أقول كلمة أخيرة حول الصورة المرتبطة بعنوان الرياضة التي اقترحها الأب چوڤاني. إنه تفصيلة من العمل النحتي «زيارة العذراء مريم لقريبتها أليصابات»، وهو عمل للنحات لوكا ديلاروبيا (Luca Della Robbia).[٤] يُصور السيدة العذراء كشابة صغيرة تجذب أنظارنا تلقائياً بوجهها العذب والحازم والهادئ في الآن ذاته. و نقرأ على الجدران الزجاجية الأربعة التي تحيط قبر الأب چوساني هذا التضرع المكتوب: «أيتها السيدة العذراء، أنتِ حصن رجائنا!».

وللبدء في هذه الرياضة الروحية، لنطلب منها، التي هي نبع للرجاء الحيّ، أن ترافق مسيرتنا في هذه الأيام.

مونسينيور چوڤاني باكّوزي. طاب مساءكم جميعاً! وأود أن أشكركم على هذه الدعوة، وإن كانت قد صعّبت عليّ الأمر بعض الشيء في التحضير لها، إلا أنها عمّقت امتناني لهذا التاريخ. أريد أن أقول بضع كلمات بلغتين. الأولى بلغة أهل مدينة فلورنسا: إنني «انسان عادي»، وبفضل هذا التاريخ فقط بالنسبة لي – كما أعتقد بالنسبة لكم جميعاً – الذي هو ليس مجرّد كلمة وإنما واقع أعيشه كل يوم. أما الكلمة الثانية فأوجهها بالإسبانية إلى جميع أصدقائي، على الجانب الآخر من العالم: [أود أن أحيي أصدقائي الناطقين بالإسبانية لأنه لولا جمال الكاريزما التي وصلت إلينا لما أمكن أن نكون ممتلئين بالفرح والرجاء. وما كان لنا أن نكون هكذا وعيوننا مليئة بالفرح، في وسط عالم يبدو أنه ينهار من كل جانب، ولكن يملؤنا الفرح والقوة لبناء جزء جديد من العالم. فلنحاول في هذين اليومين السعي للوصول إلى منبع ومصدر رجاءنا].

[٤] لوكا ديلاروبيا، «زيارة العذراء مريم لقريبتها أليصابات»، بالفخار الزجاجي، حوالي عام ١٤٤٥، كنيسة سان چوڤاني فورتشيڤيتاس، بستويا، إيطاليا

مقدمة
چوڤاني باكّوزي

اشتياق لتحقيق الذات،
ورغبة فطرية في السعادة

«الرجاء لا يسير وحده. وحتى يكون فينا رجاء، يا بُنيتي، يجب أن نكون سعداء جداً، ويجب أن نكون قد حصلنا على ونلنا نعمة عظيمة»،[٥] كما قال بيجي في كتاب «رواق سر الفضيلة الثانية»، الذي أخذنا منه عنوان هذه الأيام. إنه الرجاء الذي نريد أن ننظر إليه في هذه الرياضة الروحية، ونريد أن نفعل ذلك من خلال إتباع الفقرات والمقاطع التي سلمنا إياها الأب چوساني، خاصة في الكتابين: «هل يمكن العيش هكذا؟» و كتاب «هل يمكن حقاً؟ العيش هكذا».[٦]

إذ يؤكد الأب چوساني في كتابه «هل يمكن العيش هكذا؟» قائلاً: « النعمة العظيمة تمثل، وتطمئن حاضراً وضعِتْ فيه بذرة غريبة يزهر فيها الرجاء في الغد. ''يزهر رجاء اليوم الذي لا يموت''».[٧]

ويمنح الرجاء لحياتنا الفقيرة منظوراً أبدياً بلا حدود. وهذا ما يشير إليه رمز المرساة التي لطالما استخدمها التقليد الأيقوني المسيحي للإشارة إلى الرجاء، وهي صورة وردت في رسالة القديس بولس إلى العبرانيين التي تقول: «وهذا الرَّجاءُ لِنُفوسِنا مِرساةٌ أمينَةٌ متينَةٌ تخترِقُ الحِجابَ. إلى حيثُ دخَلَ يَسوعُ مِنْ أجلِنا، سابِقًا لنا، وصارَ رَئيسَ كَهنَةٍ إلى الأبَدِ على رُتبَةِ مَلكيصادَقَ».[٨] إذ كان هيكل أورشليم بالنسبة لليهود المكان الذي يسكن فيه الله وسط شعبه. لذلك، يقوم الرجاء بإدخالنا إلى مقر سُكنى الله وإلى بُعده الأبدي اللامتناهي. إن كاتب الرسالة إلى العبرانيين لا يستخدم صورة الصخرة، بل صورة المِرساة، لأن الرجاء لا يتخلص من العواصف، بل يُثّبت نقطة ثابتة لا تتزعزع. فمع أننا قد تتقاذفنا أمواج الحياة، إلا أننا لا نُجرف بعيداً. كما قال قداسة البابا في عظته بكنيسة القديسة مارثا عام ٢٠١٣: «كان الرجاء مِرساة»؛ مِرساة مثبتة في شاطئ ما وراء البحار. وحياتنا تشبه السير على حبل يقودنا إلى تلك المرساة». وأضاف: «وَلَكِنْ أَيْنَ مِرساتنا نحن؟.[٩] لِنَسْأَلْ أَنْفُسَنَا! على ماذا يتأسس رجاؤنا؟ فكما

---

[٥] شارل بيجي، «الأسرار»، ياكا بوك، ميلانو ١٩٩٧، ص ١٦٧

[٦] الأب لويجي چوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟ تناول غريب للوجود المسيحي»، بور، ميلانو ٢٠٠٩؛ «هل يمكن حقاً العيش هكذا؟»، بور، ميلانو ٢٠١١

[٧] الأب لويجي چوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، كتاب سبق ذكره عاليه، ص ١٨٥

[٨] عبر٦: ١٩-٢٠

[٩] البابا فرنسيس، «الرجاء، هذا المجهول». تأمل يومي بكنيسة القديسة مارثا، ٢٩ أكتوبر ٢٠١٣

أن المرساة تشدّ السفينة وتثبّتها حتى في وسط بحر عاصف، هكذا – كما قال بيجي – فإن الرجاء البسيط يشدّ الإيمان والمحبة. إنه بسيط وصغير، لكنه هو الذي يجعلنا نسير إلى الأمام.

فقد قال القديس أغسطينوس (S. Agostino) إن الإنسان لا يخطو خطوة واحدة إن لم يكن متأكداً من وِجهته. فالرجاء يرسو في الآخرة ويجذبنا إلى مصيرنا، وإلى امتلائنا الذي لا نستطيع أن نصل إليه بمفردنا.

أقرأ لكم أبيات شعرية لشارل بيجي (Charles Péguy) التي وضعنا منها عنوان هذه الرياضة الروحية، مع تلك التي تسبقها وتليها: «ولكن الرجاء، يقول الله، هو ما يثير دهشتي. / أنا نفسي. / فهذا مدهش / فلينظر هؤلاء الأبناء المساكين كيف تسير الأمور وليؤمنوا بأنها ستكون أفضل في صباح الغد. / فَلْيَنْظُرُوا كَيْفَ تسير الأُمُورُ الْيَوْمَ وَلْيُؤْمِنُوا بِأَنَّهَا سَتَكُونُ أَفْضَلَ فِي صباح الغد / فهذا مدهش وَأَعْظَمُ عجيبة مِنْ عجائب نِعْمَتِنا / وَأَنَا نَفْسِي مندهش من ذلك / فمِنْ الضروري أَنَّ تأتي نِعْمَتِي فِي الْحَقِيقَةِ من قُوَّةٍ عَجِيبَةٍ / وَأَنَّ تتَدَفَّقُ مِنْ يَنْبُوعٍ كَجَدْوَل مياهٍ لَا يَنْضُبُ [...] / وكم يجب أن تكون نعمتي وقوة نعمتي حتى يبقى هذا الرجاء الصغير، المتأرجح بنفخة هواء الخطيئة، والمرتجف من كل ريح، والقلِقْ من أدنى نفخة هواء، ثابتاً وراسخاً، وأميناً ومستقيماً ونقياً، ودائماً منتصراً، وخالداً ولايمكن إخماده [. ...]. / / فذلك الذي يثير دهشتي، يقول الله، هو الرجاء. / الذي لا أفهمه. / فهذا الرجاء الصغير الذي لا يبدو أنه لاشيء. / إنه رجاء خالد».[١٠]

فلنندهش نحن أيضاً (إن كان الله يندهش!)، لأنه يبدو من المستحيل حقاً أن نتكلم عن الرجاء بدون تلك المرارة التي تنبع من داخلنا في كل مرة نقول فيها: «نرجوا ذلك!»، وأن نستطيع أن نتكلم عنه اليوم، في هذا العالم الذي يعيش في حروب، وفي هذا المجتمع الذي لم يعد ينظر إلى المسيح وفي الوعي بشرورنا.

لكن الأمر لا يتوقف علينا، كما يقول بيجي، بل على قوة ذلك «الينبوع ومثل النهر الذي لا ينضب»، وعلى تلك القوة القادرة التي ليست قوتنا، بل هي كلها قوة الله، أي على نعمته التي تصل إلينا الآن في المسيح، التي يحدث الآن مرة أخرى. إن المِرساة ملقاة في الآخرة، ولكن في الآخرة التي جاءت لتقابلنا، والتي نظرت إلينا ودعتنا في هذا التاريخ.

حتى ونحن ندخل هنا الليلة، في الحقيقة، كما قال دافيد، ليس أمراً مسلماً به على الإطلاق أن يكون عددنا هنا كثير هكذا (رغم كل التضحيات الضرورية)، وفي الموسيقى، والترانيم المؤثرة، وفي الوجوه التي عرفناها منذ سنوات وفي الوجوه الجديدة في هذه الرفقة (الصُحُوبية) التي معنا، يحدث نبع آخر («وكالنهر الذي لا ينضب»)، الذي ليس نحن، وليس أنا، إنه نبع يجدد الرجاء في التغيير، كينبوع حياة جديدة لعظامنا اليابسة. هل تذكرون النص من حزقيال ٣٧؟ «فقالَ لي: ''يا ابنَ الإنْسان، أَتُرى تَحْيا هَذه العِظام؟'' فقُلتُ: ''أَيُّها السَّيِّدُ الرَّبّ، أَنتَ تَعلَم''»[١١]. ونحن هنا من أجل هذا الرجاء: إذ هناك الآخر الذي يحضر وسطنا الآن ويمكنه أن يحيينا.

إن الله يندهش من رجائنا، لأنه ليس أمراً سهلاً، كما قلنا بأنه ليس تلقائياً. فالحزن والموت (النص الذي نقرأه يأتي مباشرة بعد الجزء الذي يتحدّث فيه بيجي عن صلاة الآباء الذين فقدوا أبناءهم

---

[١٠] شارل بيجي، «الأسرار»، كتاب سبق ذكره، الصفحات ١٦٤ – ١٦٥

[١١] حز ٣٧: ٣ (راجع الاصحاح كله)

الأبرياء) هما الاعتراضان الكبيران على الرجاء. إنه شيء لا يمكننا توليده. لهذا السبب يُسمّى «فضيلة لاهوتية»، لأنه يأتي من الله، ويُعطى من الله، فهو نعمة. إنه يحدث لنا، ونحن هنا لأن المسيح حدث في حياتنا: وهنا نرى الرابط مع الإيمان الذي قادنا الأب ليبوري إلى التأمل فيه العام الماضي.

إن ما استحوذ علينا هو عندما حدث المسيح في حياتنا في المرة الأولى، عندما حدث اللقاء الأول، وعندما يحدث مرة أخرى الآن، حدث ويحدث لأنه وجد ويجد فينا اعترافاً فورياً. إذ لدينا قلب يعترف به! ففي الواقع، إنها نعمة مغروسة، كما يقول التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، في «رغبتنا الفطرية في السعادة». ويتابع التعليم المسيحي: «وهذه الرغبة هي من أصل إلهي؛ فقد وضعها الله في قلب الإنسان ليجذبه إليه، لأنه هو وحده القادر على ملأ هذا القلب».[١٢] ويتحدث عنها القديس أغسطينوس بهذه الطريقة قائلاً: «نحن جميعاً نتوق بالتأكيد لعيش حياة سعيدة، ولا يوجد بين الناس من ينكر موافقته على هذا القول، حتى قبل أن يُطرح بكل أبعاده ومراميه».[١٣] هل هذا صحيح أيضاً الآن بالنسبة لي ولك؟ «هل هناك إنسان يريد الحياة ويرغب في أن يعيش أيام سعيدة؟».[١٤] وكان هذا هو عنوان اللقاء الدولي بريميني في عام ٢٠٠٣، الذي استلهمناه من الأب ليبوري، والذي يشير إلى مقدمة قانون القديس بندكتوس (S. Benedetto) حيث يطرح فيه هذا السؤال كأصل لقرار المبتدئين في أن يصبحوا رهباناً.

يساعدنا الأب جوساني على ألا نتجاوز في الحال هذا التأكيد من التعليم المسيحي والتقليد المسيحي، كما لو كان مقدمة واضحة لتقديم طرح لاهوتي حول الرجاء. إذ لن تكون هذه الرياضة الروحية طرح لاهوتي حول الرجاء، والذي يبدأ من شرح العقيدة الواردة في الكتاب المقدس، وفي كتابات آباء الكنيسة، ومن تأمل لاهوتي: فاليوم، في هذه الرياضة الروحية، كي نتكلم عن الرجاء، نبدأ من هنا، من بعده الطبيعي والإنساني. ومن الناحية التربوية، يتحدث الأب جوساني عن الرجاء باعتباره تحقيقاً لشيء ما يُلِح بالفعل في حياتنا، وعن الرغبة التي تشكلنا بشكل طبيعي كبشر وعن هذه «الرغبة الفطرية في السعادة»، كما يسميها كتاب التعليم المسيحي.

إننا نجدها في داخلنا هذه الرغبة في أن نكون سعداء: إنها حركة طبيعتنا التي ترغب وتنتظر الإشباع، حتى وإن لم تستطع أن تعطيها لنفسها. لذلك، دعونا ننظر إلى «بنية الوعد» هذه التي تحافظ على وجودنا في العالم هنا والآن.

قلب الإنسان هو وعد

في نص صغير من عام ١٩٦١، أعيد نشره بعنوان «إحمل الرجاء» (Porta la speranza)،[١٥] بعنوان: «من الرجاء إلى ملء الفرح»، والذي سيرافقنا في مسيرتنا هذه الأيام، والذي يقدم فيه الأب جوساني موضوع الرجاء بهذه الكلمات: «إنه من حقيقة الأشياء ومن عطية وجوده يستمد الإنسان معرفة ذاته ومصيره، [هذا التأكيد مألوف جداً بالنسبة لنا في شهور تأملنا هذه في كتاب «الحس الديني»:[١٦]

---

[١٢] كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية فقرة رقم ١٧١٨.

[١٣] القديس أغسطينوس، «من التعاليم الأخلاقية للكنيسة الكاثوليكية»، ١، ٣، ٤: مجموعة الكتابات الكنسية اللاتينية (ب ل ٣٢، ١٣١٢)

[١٤] راجع مزمور ٣٣: ١٣، المقدمة، ١٥

[١٥] الأب لويجي جوساني، «من الرجاء إلى ملء بالفرح (١٩٦١)»، الآن في نسخة جديدة بعنوان، «إحمل الرجاء. الكتابات الأولى»، ماريتي ١٨٢٠، جنوا ١٩٩٧، الصفحات ١٥٥ – ١٦٢. وللأب جوساني أيضاً، «الواقع والشباب. التحدي»، ريتسولي، ميلانو ٢٠١٨، الصفحات ١٣٩ – ١٤٦

[١٦] الأب لويجي جوساني، «الحس الديني»، بور، ميلانو ٢٠٢٣

[إنه من داخل خبرتنا الانسانية نكتشف من نحن]. والملاحظة الأولى عن حقيقة الانسان هي هذه: أنه يولد كقوة دفع لا تُقهر لتحقيق ذاته».[١٧]

فمن واقع الخبرة الانسانية، كحقيقة موضوعية، يكتشف كل واحد منا أنه وُلِدَ وتم إطلاقه في الحياة «كقوة دفع لا تُقهر لتحقيق ذاته». هذه هي الملاحظة الأولى، والتأكيد الأول لحقيقة الإنسان: فالإنسان يتحدد بقوة الدفع هذه، وبكل عمل له قوة الدافع هذه. ثم يضيف: «''تجهدنا قوة فعالة من حركة إلى أخرى'' لننتقل من أكثر الغرائز تضخماً ومن إبتذال الاتساعات المريحة إلى أنبل إلحاحات الوعي وإلى أسمى مغامرات الفكر» (فوسكولو) (**Foscolo**)، ''حافز يكاد يلسعنا لسعاً'' (ليوباردي) (**Leopardi**) لدفعنا نحو كمال نمو بذرة الذات الأصلية، في إظهار قوي ومركّز للمعنى والفعالية. أي ''تحقيق الذات''».[١٨]

وحتى الأفعال الأقل وعياً، وتلك التي ربما لا نسميها أفعال، يحركها هذا «الحافز». وغالباً ما نرى الأب چوساني يستخدم في كتاباته المبكرة لغة مختصرة للغاية لها جاذبية. إن تعبير «الغرائز المتضخمة» يحمل في طياته مجموعة كاملة من المحاولات الواعية أو اللاواعية في كثير من الأحيان لتحقيق ذواتنا بتنفيس غرائزنا.

إن «إبتذال الاتساعات المريحة» يشير، إذا ما فكرنا في الأمر، إلى السعي وراء المتعة بأي ثمن، والحاجة إلى الشعور بالرضا، ولهفتنا في أن نظهر بشكل جيد، وهو ما نعبر عنه على سبيل المثال في حرصنا على نشر صور رحلاتنا والطعام الذي نتناوله على منصات التواصل الاجتماعي، كما لو كانت تعبيراً عن سعادة منشودة ولكنها دائماً مراوغة في الآن ذاته.

قرأت هذه الأيام تحديداً مقالين عن كتاب [١٩] (لا أعتقد أنه من المهم ذكر عنوانه) الذي يشرح لماذا صار من السهل جداً الوقوع في إغراء ألعاب الفيديو على الإنترنت، حتى لو أنفقت كل أموالك عليها، أو قضاء الكثير من الوقت على منصات التواصل الاجتماعي، وهو يفعل ذلك من خلال الحديث عن «دائرة النُدرة»، أي دوران النُدرة حول الذات في دائرة مغلقة. وهو يشير إلى إستنتاج السيد سي ريد (ويليام ريد)، رجل الأعمال الأمريكي الذي اخترع في البداية آلة لعب الكرة وصناديق الموسيقى، ثم أدخل بعد ذلك ماكينات القمار إلى الإنترنت.

كما تقول إحدى هذه المقالات أن سي ريد (**Si Redd**) قد حدد «خاصية قوية للعقل البشري. فالسلوكيات التي نقوم بها في تتابع سريع، من المقامرة إلى الشراهة في تناول الطعام، [...] هي مظاهر مترتبة على دائرة النُدرة».[٢٠] ويعلق مقال آخر بأن «هذه الدائرة المفرغة هي المحفز الحقيقي [المحرك والدافع]، الذي يُطلِق عقلية النُدرة، التي تغرينا بإشباعات فورية بسيطة، مثل تلك التي تحدث على منصات التواصل الاجتماعي: فكل إشعار يتم تلقيه – سواء كان «أعجبني» أو تعليق أو رسالة مباشرة – يجلب معه إثارة تشبه حالة عدم اليقين عند دوران بكرات ماكينة القمار. إن مجرد الفعل المتمثل في تصفح الأخبار [التصفح المتسلسل للمحتوى] يجرنا إلى دورة مستمرة [ورغبتنا هذه التي تود أن تذهب بنا إلى اللانهائية تظل مغلقة] من البحث عن المشاعر: السعادة، أو الحزن، أو الغضب، أو السخط، أو

---

[١٧] الأب لويجي جوساني، «إحمل الرجاء...»، كتاب سبق ذكره آنفاً، ص ١٥٥

[١٨] نفس الكتاب المذكور آنفاً

[١٩] مايكل إيستر، «لا يكفي مطلقاً»، منشورات روي، ميلانو ٢٠٢٤

[٢٠] أندريا دانييلي سينيوريللي، «لا يكفي أبداً، الكتاب الذي يشرح كيف أن التقنية تجعلنا نرغب دائماً في المزيد»، جريدة **La Repubblica** ، ٢ إبريل ٢٤

الحسد، أو الدهشة. فهذا السلوك القهري للتصفح [التصفح العمودي] بلا نهاية ينشط التكرار السريع الذي لا نهاية له تقريبًا، مما يجعلنا ملتصقين بالشاشة في انتظار الموجة التالية من المحفزات المثيرة للعواطف. وبهذه الطريقة، تخلق منصات التواصل الاجتماعي حلقة تغذية ذاتية من الانتظار والترقب ورد الفعل، مما يُبقي المستخدمين في حالة من التوقع المستمر والرغبة في القبول الاجتماعي».[٢١]

لقد أشرتُ إلى هذه الظاهرة لأنه يبدو لي أنها تساعدنا على فهم كيف أننا نحبس أنفسنا بسهولة شديدة في حلقات مغلقة تبدأ برغبة حقيقية، ثم لا تلبث أن تنتهي إلى لا شيء، ثم تنقلب على نفسها وتتركنا أكثر فراغاً من قبل. هذا لا يحدث فقط مع الألعاب عبر الإنترنت أو منصات التواصل الاجتماعي. أيمكن أن لا نتعرف جميعاً على أنفسنا قليلاً في هذه السطور؟

يساعدنا الأب چوساني على الإدراك بأن هذه الحلقات، التي – كما يجب القول – نتعامل معها جميعاً، في أنفسنا وفي الآخرين، هي طرق مختزلة – وضارة – ومع ذلك نعبر بها عن إنسانيتنا، مدفوعين بنفس التعطش لتحقيق ذواتنا لذلك تتحرك من أجله أيضاً أسمى الأفكار، كما كان يقول، أو أنبل الأشياء في قلوبنا. لقد خُلقنا على هذا النحو، نتحرك دائماً نحو تحقيق الذات. وهذا يبدو مهماً بالنسبة لي، لأن هناك إنطلاقاً لنا نحن البشر من عمل الله حتى نصل إليه. وعلينا عدم إنكار ذلك. وسنرى ذلك بشكل أفضل غداً.

يقول الأب چوساني في نص الكتاب الصادر في عام ١٩٦١ : «هناك ظاهرة أساسية تعبّر عن هذا الدافع الأصلي: الشوق والرغبة. وهي ظاهرة أساسية لكل عمل نقوم به ومنها يبدأ وينطلق إلى نسيج أحداث الواقع. ولأنها مجانية وحتمية فإن ظاهرة الرغبة هي [...] وعد بالتحقق. كما أن الوعد هو حقيقة، والرغبة توثق بأن الوعد هو الحقيقة التي تكمن في أصل الحدث الانساني كليةً».[٢٢] فالرغبة تشعل كل فعل. ما أجمل هذا التعبير! تشعل تعني تجعله يبدأ الفعل وتملئه بالنور والحرارة، ثم تطلقه في نسيج أحداث الواقع وتدفعه إلى مغامرة السعي لتحقيقه. ويضيف أن الرغبة هي «وعد بالتحقق»، والوعد هو حقيقة، بل هو «الحقيقة التي تكمن في أصل الحدث الانساني كليةً». إذ نجده فينا. ونحن وعد. ودعونا نتذكر الفصل الخامس من كتاب «الحس الديني» الذي قرأناه في هذه الأسابيع الأخيرة: «''ما أعظمها الفكرة بأنه حقاً ليس هناك شيء مفروض علينا. هل وعدنا أحد بشيء من قبل؟ فلماذا ننتظر إذن؟''. ربما لم يعتقد [بافيزي] [Pavese] أن الانتظار هو بنية طبيعتنا ذاتها وجوهر نفسنا. إنه ليس حساباً: إنه عطية. والوعد هو في الأصل، أي من الأصل الذي صنعنا منه الله. فمن خلق الانسان، جعله ''وعداً''. فالانتظار هو في بنية الانسان، وكذلك الاستجداء: والحياة في بنيتها هي وعد».[٢٣]

إننا نعلم جيداً، فقد ذكّرنا بذلك دافيد في محاضرة منذ بضعة أسابيع في مدينة ريكاناتي،[٢٤] عن إعجاب الأب چوساني العميق بالشاعر چاكومو ليوباردي وتحديداً في كونه كان مدفوعاً بالرغبة الجامحة في الإشباع الكامل، التي لا توقفها الخبرة بعدم كفاية الأشياء، بل تعمّقها.

---

[٢١] ل. تيديسكو، «ماهي دائرة الندرة، التي تجعلنا نرغب فيما لا نحتاجه»، wired.it، ٢٢ مارس ٢٠٢٤

[٢٢] الأب لويجي چوساني، «إحمل الرجاء»، كتاب سبق ذكره آنفاً

[٢٣] الأب لويجي چوساني، «الحس الديني»، كتاب سبق ذكره آنفاً، ص ٧١

[٢٤] «أيها الجمال العزيز. فكر أصيل وخلاق في ليوباردي و چوساني»، حوار مع دافيد بروسبيري، رئيس أخوية الشراكة والتحرر، أقامه مركز چاكومو ليوباردي الثقافي، ريكاناتي، ٢٣ مارس ٢٠٢٤، clonline

في كتابه «هل يمكن (حقاً؟!) العيش هكذا؟»، وبالتحديد في الجزء المتعلق بالرجاء خصص الأب چوساني صفحات جميلة للغاية عن الشاعر ليوباردي (Leopardi)، تحمل عنوان «وكان يضطرب قلبي بالفعل بنفس الطريقة»،[٢٥] وسيكون من المهم، كما أعتقد، أن نعيد قراءة تلك الصفحات في البيت بكاملها. فهو يقول: «أريد أن أستشهد بحالة إنسانية حيث يمكن للمرء أن يرى بوضوح كيف أن الرجاء هو كلمة إنسانية، وهو حاضر حيث توجد رغبة وأمنية المرء في تحقيقها. [...] أتحدث عن تجربة ليوباردي [...] نظراً للبعد الإنساني لشهادته. [...] أعتبره وثيقة عن حياة ليوباردي، وعن حقيقة أن الرجاء المسيحي [...] هو كلمة إنسانية».[٢٦] لننظر في وجوهنا لندرك أننا خُلقنا برغبة لا متناهية.

إنها تجربة ليوباردي الذي كتب: «إن عدم القدرة على الاكتفاء بأي شيء أرضي، ولا بالأرض كلها، إن جاز التعبير، وبالنظر إلى اتساع الفضاء الذي لا يُقدَّر، وإلى العدد الهائل من العوالم وضخامتها؛ وأن نجد أن كل شيء قليل وصغير بالنسبة إلى قدرة النفس عند الانسان ; فلنتصور عدد العوالم اللامتناهٍ، والكون الغير متناهٍ، وأن نشعر بأن نفسنا ورغبتنا هما أكبر من الكون المخلوق؛ ونتهم دائماً الأشياء بالنقص والعدمية، ونعاني من النقص والفراغ، ومع ذلك الملل [إذ يمكن أن يقول أحدهم أن هذا الملل هو أقبح شيء وبالعكس. ...] يبدو لي أن هذا الملل هو أعظم علامة من علامات العظمة والنُبل التي تُرى في الطبيعة البشرية.[٢٧] فنُبل الإنسان، مقارنة بجميع المخلوقات الأخرى، بالنسبة لليوباردي يكمن بالضبط في هذا التناقض. في مأساة عدم العثور على أي شيء يتوافق مع اتساع الرغبة، ولذلك «كل شيء قليل وصغير بالنسبة لقدرة نفس الانسان». وفي اتساع الرغبة هذا ينبثق سمو الشعور، والسر الأبدي / لكياننا»،[٢٨] لأنه حتى «مأساة التناقض اليومي، هي بمثابة أرض ينبع فيها تمجيد الإنسان: الإنسان يمجد نفسه».[٢٩]

ويصل ليوباردي إلى ذروة هذا النبل، رغم التأكيد الأيديولوجي للعدمية باعتبارها نهاية الأفق، عندما يعجز عن إسكات توق الرغبة.

وأختم إشارتي إلى ليوباردي بهذه الكلمات الأخرى للأب چوساني: «ورغم خبرة التناقض التي تفرزه، فإن الواقع يسمو بروح الإنسان، وفي هذا السمو، تُولد قوة معبرة وحالمة تسود حياته كلها. فما يُولَد من التناقض يرفضه العقل أما القلب لا يرفض لأنه رغبة عارمة».[٣٠]

ويختتم الأب چوساني كتابه الصادر في عام ١٩٦١ بالتأكيد على أن الاعتراف ببنية الوعد في حياتنا، الذي يعبّر عن نفسه بشكل ديناميكي في الرغبة، والثقة بها، «فهو يبني أساس التعاطف الوجداني للانسان مع كيانه وحياته بلا انقطاع – وبالتالي يجعل من الممكن الاهتمام والعناية بذواتنا – ويولّد ذلك ''الإحساس بالذات'' الذي ليس مجرد وعي، بل هو شيء أعمق، إذ هو إدراك محب للمصير الزاخر بالقيمة».[٣١]

---

[٢٥] الأب لويجي چوساني، «وكان يضطرب قلبي بالفعل بنفس الطريقة» في الكتاب المذكور آنفاً، «هل يمكن (حقاً؟!) العيش هكذا؟، ص ٣٢٣ – ٣٤٠

[٢٦] نفس الكتاب المذكور عاليه، ص ٣٢٤

[٢٧] چاكومو ليوباردي، «الفصل الثامن والستين من كتاب الأفكار»، أشعار ونثر، المجلد الثاني، موندادوري، ميلانو ١٩٨٠، ص ٣٢١

[٢٨] چاكومو ليوباردي، فوق لوحة إمرأة جميلة تم نحته داخل مثواه نفسه»، الأبيات ٢٢ – ٢٣، في نفس الكتاب، «أيها الجمال العزيز. بور، ميلانو ٢٠١٠

[٢٩] الأب لويجي چوساني، «هل يمكن حقاً العيش هكذا؟»، كتاب سبق ذكره، ص ٣٣٠

[٣٠] نفس الكتاب المذكور عاليه

[٣١] الأب لويجي چوساني، «إحمل الرجاء»، كتاب سبق ذكره آنفاً

من الحنو والرأفة تجاه ذواتنا تنبع صلاة الفقير

تلقيت شهادة بالأمس فقط سأقرأ لكم بعض السطور منها. إنها لأستاذ يحكي بأنه في عشاء نهاية العام مع الطلاب، ظهرت فتاة كانت تبدو دائماً بعيدة بعض الشيء بالنسبة له، بعد الاستماع إلى «قطرة الماء» من موسيقى شوبان وإلى تعليق الأب چوساني الذي قرأه هذا المعلم قالت له: «كنت أعتقد دائماً، منذ أن كنت صغيرة، بأن هناك شيئاً خاطئاً في داخلي، وقلق، وألم. كنت منغلقة على نفسي، وبكيت كثيراً، ولم أنم أبداً في الليل. ولكن، بعد ذلك الدرس، لم يعد يؤذيني القلق الذي شعرت به، ولم يعد يخيفني، لأنه كان هناك من وصف الأمر بهذه الطريقة، واختبره بهذه الطريقة. تلك القطرة، ذلك العذاب الظاهر، لم يكن مصيبة، بل كان رغبة في السعادة. ومنذ ذلك الوقت وأنا أنام دائماً بسلام». وبعد ذلك، يكتب الأستاذ، «أخبرتني بأنها قد وشمت القطرة على جسدها لتتذكر تلك اللحظة إلى الأبد».

إن قامة الإنسان المليئة بالكرامة والوعي بالمصير، والوعي برحابة الرغبة التي تدفعه نحو أفق لا نهاية له، تذكرني بتمثال رائع من القرن السابع عشر، ربما للنحات الإشبيلي خوان مارتينيز مونتانيس (Juan Martínez Montañés)، الموجود في غرفة الملابس الطقسية بالكنيسة اليسوعية في مدينة ليما، عاصمة بيرو، حيث عِشتُ لسنوات عديدة. يصور التمثال القديس أغناطيوس دي لويولا: (Ignazio di Loyola) فكل من ينظر إليه يندهش من نظرة القديس أغناطيوس المتجهه نحو أفق بعيد، أبعد من كل شيء، ولكن في الوقت نفسه بتعبير حازم لمغامر لا لحالم. وعندما رأيتها فكرت: «بالطبع هي صورة المسيحي الذي يحدق في الأفق اللامتناهي». إذ تدهشنا هذه النظرة المفعمة بالرغبة في المستقبل وفي نفس الوقت مليئة بواقعية، تكاد تشبه واقعية المحارب. فتلك النظرة لا تخرجه من الواقع، بل على العكس، تملأه بالطاقة والإرادة لفعل كل شيء للوصول إلى ما وراء المنظور. ولكن من يستطيع أن يحافظ على نفسه في هذه النقاء والواقعية بدون نعمة عظيمة، ودون أن يكتشف، كما فعل القديس أغناطيوس عند لقائه بالمسيح، بأن هناك إجابة لقلبه المليء بتوقع أشياء عظيمة؟

نحن هنا اليوم، في بداية هذه الرياضة الروحية، نشعر بالامتنان لأن يسوع قد جاء للقائنا وأعاد الحياة لرجاءنا، وأخرجنا من الحلقات والدوائر المغلقة التي نحتمي بها، ومثل القديس اغناطيوس، يمكننا أن ننظر إلى إنسانيتنا التي تتوق من أجل تحقيق الذات بتعاطف، وبـ «اعتراف محب» بمصير عظيم، كما قال الأب چوساني، الذي دعانا الله إليه بإعطائنا الحياة وهذا القلب الملتهب بالرغبة.

ومع ذلك نحن ضعفاء للغاية. لا أعرف إن كنتم قد قرأتم العبارات التي عرضها الأب چوساني على الشاشات تعليقاً على مقطوعة شوبرت التي سمعناها عند دخولنا القاعة والتي تتحدّث بالتحديد عن كوننا ضعفاء جداً. يقول أن الرجاء هو رجاء الفقراء. ونحن نعلم جيداً أنه بمجرد أن نبتعد ملليمتراً واحداً عن المسيح، وبمجرد أن نبتعد ملليمتراً واحداً عن حضوره في الكنيسة، وعن هذه الرفقة (الصُحُوبية) التي وُلِدت من كاريزمة الأب چوساني، نقع على الفور ضحية تلك العدمية الخفية – التي سنتحدث عنها غداً – والتي تتغلغل فينا مثل الهواء الملوث، تلوّث صفاء الرغبة ونقائها، مثل حِمْل ثقيل يحولنا إلى «غرائز منفلته» أو إلى «إبتذال سطحية الحياة المريحة»، وتُدخِل هذه العدمية ذلك

الادعاء الخادع الذي يقدّم نفسه في شكل شك وعدم يقين عن أنفسنا، بل والأسوأ من ذلك عن بشرية المسيح. ويبدو لنا أننا لم نعد بحاجة إليه، وأنه لم يعد قادراً على الاستجابة لتوقعاتنا.

حتى من بين المشاركات التي وصلتني، تحدث البعض عن وضع الرجاء في الله، ولكن بمعنى يحمل في داخله شيئاً من التشكك، مثل القول: «لقد كنت أتوق إلى هذا، ولكن متى يستجيب الله لي؟»، وكأن مقياس الله هو مقياسنا. هذا حكم نطلقه نحن أيضاً على الله. هكذا يمكننا أن ننأى بأنفسنا بالحكم على أنفسنا بحسب رغبتنا المختزلة في مقياس: ويمكننا حتى – ربما دون أن ندرك ذلك – أن ننأى بأنفسنا عن الاقتراح الملموس والحالي، وبالتالي عن رفقتنا هذه، وعن الحركة أو حتى عن قداسة البابا الذي يقود الكنيسة. إن هذا يحدث! ولكننا بذلك نفقد النعمة العظيمة التي نلناها ونبقى برغبة هزيلة بدون إمكانية إعادة فتح الآفاق. إننا لم نعد نتماثل مع أولئك الذين يقودون وهكذا – ملليمتراً بعد ملليمتر – نفصل أنفسنا عن حضور يسوع الملموس والتاريخي والموضوعي. تتدفق النعمة من هذا النبع الذي يصلنا الآن في الكنيسة، لكن هذا الاختزال لأنفسنا، والوعي بضخامة حاجتنا، يسلبنا بساطة الالتزام.

لكني أرى من خلال خبرتي كمسؤول عن أمريكا اللاتينية أن كل من يعيش بمخاطرة أكبر بسبب الأوضاع التي يجد نفسه فيها، وكل من يعاني من قيود كثيرة جداً لديه رغبة أكثر وضوحاً في الامتلاء، بدون «لو» وبدون «لكن»، لأن لا وقت لديه أو رغبة في إطلاق الأحكام على البابا أو الحركة، بل يحبها ببساطة وامتنان. ليس عن سذاجة، لأن الوعي العميق بأن حاجة الانسان لا يمكن أن تحل نفسها بنفسها. فهو يتشبث بالنعمة العظيمة وويلتمسها كل يوم ويتبعها كما لو كانت صلاة، بل أنه يصلي بالاتباع، لأنه يحتاج إليها لكي يحيا. وهكذا يختبر الرجاء الذي يُزهِر في ظروف تبدو مستحيلة. وفي الواقع، يبدأ الرجاء من جديد كل يوم وكأنه صلاة.

وعندما ندرك، بكل بساطة، بأننا ممتلئون برغبة لا حدود لها، تنبثق الصلاة فينا، كأكثر تعبير إنساني عن انتظار الآخر (الله) حتى يحقق الوعد. وصلاة خالية من الادعاء بتعريف كيفية استجابة السر لصرختنا؛ إنها صلاة المستجدي، الفقير بالروح. ففي عام ٢٠٠٨، عندما صدر كتاب مجموعات طلبة الجامعات بحركة الشراكة والتحرر (CLU) الذي يحمل عنوان «بشر بلا وطن»، أدهشتني حقاً صفحة يقدم فيها الأب چوساني من خلال صورة جوهر صلاة الفقير بالروح؛ أريد أن أقرأها لكم لكي ترافقنا هذه الليلة وتساعدنا لنبدأ هذه الأيام بالموقف المناسب والحقيقي والوحيد: ألا هو موقف الفقير المستجدي. إذ يقول: «الفقير بالروح – عليكم أن تتخيلوه كشخص يفتح فمه وعينيه على مصراعيهما وهو ينظر إلى السماء والأرض في دهشة وذهول: لذلك يظهر بوضوح حضوره الجسدي واستعداده – ذاك الذي لا يملك شيئاً. [...] وأما الفقير بالروح هو انسان لا يمك شيئاً إلا شيء واحد خُلِقَ منه ولأجله، وهو التطلع والسعي بلا نهاية. وهذا هو الانفتاح والاستعداد: انتظار بلا حدود. إنه ليس انتظار بلا حدود لأن تراكم الأشياء التي ننتظرها لا نهاية له [تصفح هواتفنا ومشاريعنا]؛ كلا، فهو لا ينتظر شيئاً، بل يعيش انفتاحاً لا حدود له – وهو لا ينتظر شيئًا! – [...] كما لو أن [هذه هي الصورة التي بقيت في ذهني]، في ذلك المرج الأخضر [كانوا في مجموعة طلبة جامعات الحركة على جبال الدولوميتي]، نتخيل رجل فقير بالروح؛ ويجب أن نتخيله جالساً هناك، وقدماه متباعدتان ووجهه إلى أعلى ينظر إلى السماء والأرض والجبال وإلى كل شيء، بهذا الاتساع الكامل لقلبه دون أن يحدق في

صورته: ''هنا، أريد سقفاً وأريد بيتاً، وأريد امرأة، أريد أبناءً، وأريد مالاً''. لا شيء، لا يوجد شيء! هذه هي أصالة الإنسان؛ ففي الواقع أن أصالة الإنسان هي انتظار اللامتناهي»،[٣٢] دون أن يصنع لنفسه أي صورة. فهذا الإنسان الفقير هو نحن!

يجب علينا هذا المساء أن نصرخ ونستجدي هذه البساطة المطلقة، لنعيد اكتشاف أنفسنا باعتبارنا انتظاراً خالصاً برغبة لا نهاية لها، متيقنين وسعداء بأن نجد أنفسنا بالنعمة على العتبة التي تسمح لنا بالرجاء، ومتأكدين من الرجاء الذي لا يخدع، ونحن فقراء جداً ومتوسلين أمامه. لذلك فلنسعى إلى الصمت في هذا المساء وفي ساعات هذه الأيام، ولننتهز هذه الفرصة العظيمة التي أُعطيت لنا لنتوسل إلى الذي يحب إنسانيتنا إلى درجة أنه جعلنا نرغب فيه لكي يملأنا بنعمته.

[٣٢] الأب لويجي چوساني، «بشر بلا وطن» (١٩٨٢ – ١٩٨٣)، بور، ميلانو ٢٠٠٨، ص ٢٩٨

القداس الإلهي

ليتورجية القداس الإلهي: أع ٥: ٣٤ – ٤٢، مز ٢٦ (٢٧)؛ يو ٦: ١ – ١٥

عظة الأب ماورو ليبوري
الرئيس العام لرهبنة الآباء السيستر سيين

«صعد يسوع إلى الجبل وجلس هناك مع تلاميذه».

جميعنا نحن أيضاً، بما أننا هنا فلأن يسوع قد جذبنا بطريقة أو بأخرى وراءه إلى مكان عالٍ ومنعزل لنجلس معه، ونستمع إليه، لنتذوق حضوره وصداقته، وندرك اللذة التي يشعر بها في وجوده معنا، واللذة التي نشعر بها نحن في وجودنا معه. إنه شيء جميل أن نتوقف ونركز على يسوع، على حضوره البسيط معنا، بالبساطة التي نراها في جلوس مجموعة من الأصدقاء معاً. كما هو جميل أن نتوقف ونصغي إليه، ونسمعه وهو يتكلم، وأن نصغي إلى كلماته عن الحياة الأبدية التي تشعل فينا من جديد شعلة الرغبة في الامتلاء، وبحياة تفيض بالنعمة، مثل حياة الله. وجميل أيضاً أن نكتشف بأننا جميعاً ننجذب إليه بنفس القدر، ونشعر كيف أن محبة المسيح تجعلنا نشعر بالسعادة معاً، وتجعلنا أصدقاء، وتوحدنا. فكلنا خاصته ولهذا السبب بالذات ننتمي إلى بعضنا البعض، في رباط أقوى وأبقى من أي رباط صداقة وقرابة. ولكن في تلك المجموعة الصغيرة، كان هناك بعض الذين كانوا أصدقاء بالفعل قبل أن يلتقوا بيسوع، وكان هناك إخوة، مثل بطرس وأندراوس، ويعقوب ويوحنا. وحتى هذه الصداقة وهذه القرابة وكل شيء في البقاء هناك حول المسيح صار أقوى وتم اكتشافه على أنه جديد وتم انتزاعه من الكثير من الغريزية و البديهية والشعور بالانهاك داخل محدوديتنا.

لكن متعة الخلوة به ومعه، إلى أين أخذتهم هذه المتعة وما كان معناها؟ وإلى أين تأخذنا وما معنى وجودنا هنا حول المسيح والنظر والاستماع إليه ومحبته؟ إلى أين يأخذنا تفضيل يسوع؟

نحن نفهمه بنفس البساطة التي اتبعناه بها بوداعة وهو يبتعد عن الجمع ويعتزل بنا. ونحن نفهمه بنفس البساطة التي جلسنا بها معه في دائرة. ونفهمه بالإصغاء إليه وبالنظر إليه وبتعريض أنفسنا بفقر القلب، أي بامتنان، للحدث الذي هو نفسه، وشخصه هو، وكلمته هو. إننا نفهمه بالنظر إلى وجهه.

«ثُمَّ نَظَرَ يَسُوعُ فَرَأَى جَمْعاً عَظِيماً مُقْبِلاً إِلَيْهِ».

كنا ننظر إليه ونتبرك بجماله وبتوافق ذلك الوجه مع رغبة قلوبنا في الجمال والصلاح. وإذا بنا نرى نظراته ترتفع فوق رؤوسنا نحو الأفق. ونلتفت بغريزتنا لننظر معه إلى ما وراء مجموعتنا الصغيرة، وإلى أبعد من ارتياحنا بالبقاء معه ومع بعضنا البعض. فمعه نرى الجمع.

ثم إغراء الشعور بالاضطراب والضيق. وما علاقة الجمع بكوننا مرتاحين مع المسيح؟ وما علاقة هذا الضجيج بصمتنا واستماعنا إليه؟ وما علاقة كل ذلك البؤس الانساني بمتعة تأمل ومشاهدة الرب؟

لكن نظراته لا تهدأ، لأن شفقته ورحمته لا تهدأ. كالرحمة التي بلغتنا والتي نظرت إلينا يوماً ما كما ينظر هو الآن إلى الجموع الآتية، إلى البشرية جمعاء.

فكل بقائنا معه وكل الجمال الذي نختبره معه، لم يُلغى ولم يُمنع، لكن له معنى وله اتجاه تحدده نظرته. فلا شيء يلغي الصداقة والتفضيل الذي يمنحنا إياه، والذي يدعونا إليه، لكن هذه الصداقة وهذا التفضيل لهما رحابة لا متناهية يحتضنان كل شيء وكل انسان. وفي هذا أعطانا هو أن ندرك ونختبر ما هو قلب الله. إنه قلبٌ في عمق جوهره هو عناق كوني. فالعلاقة الحميمة التي يمنحني إياها المسيح هي أكثر واقعية وعمقاً وحقيقية وتحتضن كل شيء وكل انسان. لأنه يضمّني إلى نفسه وإلى قلبه، لا أخرج من العالم بل أخترقه إلى الأعماق، إلى أقاصي الأرض. فقلب المسيح، قلب الله الذي تكشفه نظرة المسيح، هو الرحمة التي تضُمُنا جميعاً إليه وفي الوقت نفسه تضُمُنا مع جميع البشر، في حركة حب شغوف للإنسانية التي لم يعد لها حدود، حدودي.

لكن قلبنا لا يعرف ولا يستطيع أن يتسع من تلقاء ذاته لهذا المقياس الذي لا مقياس له. إنه يحتاج إلى الروح، مثل مريم العذراء. إنه يحتاج إلى أن يقدم ذاته لعطية الله الذي هو الباراكليتوس، المعزي بشخصه، ويحتاج للروح الذي يجعل الابن جسداً في جسدنا، وحضوراً في حضورنا، وإنسانية في إنسانيتنا.

كيف يمكن أن يحدث هذا؟ يحدث كما حدث للعذراء مريم، وكما حدث للصبي الصغير صاحب الخمسة الأرغفة والسمكتين: بتقديم كل العدم الذي نملكه وكل العدم الذي هو نحن. هذا هو رجاؤنا. عندها يتضاعف كل شيء فينا وفيما بيننا، كل شيء ليُشبِع جوع البشرية، لأن كل شيء في الواقع يصير جسد ودم المسيح، فادي العالم!

صباح السبت ١٣ إبريل ٢٠٢٤

موسيقى ولفجانج أماديوس موتسارت
كونشرتو للبيانو رقم ٢٠ بمقام ري مينور، ك ٤٦٦ بيانو، بعزف كلارا هاسكيل
أوركسترا كونسير لامورو - إيجور ماركيفيتش ''الروح اللطيف'' رقم ٣٢،
(فيليبس) يونيفرسال

صلاة التبشير الملائكي

تسابيح وصلاة باكر

داڤيدي بروسبيري

وجاء أيضاً هذا العام لتحيتنا ومباركتنا نيافة المونسينيور نيكولو أنسيلمي (Nicolò Anselmi)، أسقف مدينة ريميني. شكراً لنيافته.

مونسينيور نيكولو أنسيلمي

أشكركم على الدعوة، وأشكركم على وجودكم هنا، وأرى أنكم في ريميني تشعرون أنكم في بيتكم. أشكركم على كل الخير الذي تقومون به في الكنيسة، وعلى كل الخير الذي تقومون به في جماعاتنا، وفي المجتمع. في هذا العام، الذي أراد قداسة البابا أن يكرّسه للصلاة استعداداً ليوبيل العام المقبل، «حُجّاج الرجاء»، وحقيقة أنكم كثيرون جدًّا تجعلني أشعر في قلبي بأن الحاجة إلى الصلاة وأن نكون مع الرب وأن نترك أنفسنا لنهتدي بروحه تعنينا نحن المؤمنين ولكنني أعتقد أن العالم أيضاً لديه رغبة كبيرة في التعمق وفي إعادة اكتشاف حضور الله والرب يسوع في الحياة الملموسة - كما سنسمع في إنجيل الغد - عن يسوع وهو يأكل السمك ويمشي على الماء ويحرر الظُلمة ويمنحها النور.
شكراً لكم حقاً، ولنشعر باتحادنا؛ هناك أيضاً قطعة من أبرشيتنا تصلّي معكم ومن أجلكم. أتمنى لكم رياضة روحية مقدسة وسعيدة، وعيد فصح سعيد ورسالة صالحة في العالم وفي مجتمعاتكم. أشكركم مرة أخرى.

البركــة

داڤيدي بروسبيري

شكراً.

التأمل الأول
چوڤاني باكوزي

من الرغبـــة إلى الرجـــاء المســيحي

لقد ساعدتنا كل ترنيمة من الترانيم التي سمعناها للتو على العودة إلى حيث توقفنا بالأمس. المستحيل،[٣٣] هو الصرخة المليئة بالألم لأن كل ما يرغب فيه الانسان لا يتفق مع رغبة قلبه. ويبدو الأمر مستحيلاً، ربما يبدو مستحيلاً لو لم يحدث ما سمعناه في الترنيمة الأولى هذا الصباح، وجهي: «يا إلهي، أَنظُر إلى نفسي و أنا أكتشف / أنني بلا وجه؛
/ أنظر إلى قاع نفسي فأرى ظلاماً / بلا نهاية». إن إدراكي لعجزي عن تحقيق حياتي، وتحقيق الوعد بخير لا أعرفه ولا أستطيع تخيله، يجعلني أدرك أنه، إذا كنت صادقاً، لا يسعني إلا أن أسأل وأتوسل في «انتظار بلا حدود»، كما رأينا في نهاية المقدمة. وأمام هذا الانتظار، الذي لا يزال بلا نهاية، تحدث حقيقة، دون أي استحقاق من جانبي، وأدرك أنها شيء جديد. «فقط عندما أدرك أنك أنت، / مثل صدى، أسمع فيه صوتي من جديد / وأولد من جديد مثل ولادة الزمن من الذاكرة».[٣٤]

وعندئذٍ لا يصير الصوت والعينان بلا فائدة، لأن هناك من يستجيب لصرخة الصوت، ولتطلع العينين. وبادراكه تُولد ذاتي من جديد، لا كرغبة غير محددة أو، كما رأينا بالأمس، مختزلة في صورة أصنعها لنفسي أو كسؤال غير صبور، بل كتوقع – توقع الفقير، المتسول – ورجاء من يعدني بتحقيق الذات، السري لكنه حقيقي.

خطايا ضد الرجاء (بدلاً من العلامات والأحلام)

دعونا نلتقط خيط التأمل من جديد ونعود إلى نص الأب چوساني في عام ١٩٦١. فبعد أن بيّن أن الرجاء، كوعد بالتحقق، أنه نسيج الكائن البشري ذاته، حتى عندما نقع في الغريزة أو في الراحة (ويقول الأب چوساني أنه حتى هذا – للمفارقة – يثبت أننا رغبة وانتظار ووعد)، يؤكد أن هناك «خطايا ضد الرجاء»: «لكن يبدو أن عبقرية الكائن البشري [يقول ''عبقرية'' بسخرية إلى حد ما] تكمن بالتحديد في إدراك العجز كمشورة نهائية للخبرة. ولذلك فإن فضيلة الرجاء هذه يحاربها بشراسة حزن (حزن العالم ''tristitia saeculi'' الذي ذكره القديس بولس) أو كسل (الكسل الذي يتحدث عنها القديس توما الأكويني)، والنتيجة هي عدم استعدادنا للتجاوب مع المعنى الإيجابي الذي تُعرّفنا به الطبيعة منذ البداية. ومن عدم الاستعداد هذا بالتحديد تنشأ المواقف المناقضة للرجاء، أي الخطايا ضد الرجاء».[٣٥]

---

٣٣ المغني الأرچنتيني أتاهوالبا يوبانكوي، أغنية «ڤيدالا المستحيلة»، من ألبومه «إنهم يغيروكِ يا أرضي»، ١٩٧٣، © أوديون.

٣٤ أدريانا ماسكانبي، «وجهي»، في كتاب الترانيم، الشركة التعاونية لمنشورات العالم الجديد، ميلانو ٢٠١٤، ص ١٩٦

٣٥ الأب لويچي چوساني، «إحمل الرجاء»، كتاب سبق ذكره آنفاً، ص ١٥٦

إن عدم الاستعداد للبقاء في الانتظار يعود إلى حقيقة عدم قبولنا بأننا مخلوقون، وأننا خُلِقنَا كوعد بالتحقق، والذي سيحدث ليس بحسب طرقنا ووفق رغبتنا، بل بعمل ذلك **الأنت** الذي يعرفني أكثر مني. إلى درجة أنه حتى العزلة، كما تأملنا مؤخراً في مدرسة الجماعة، مُحاطة برفقة: «وقبل العزلة»، كما يقول كتاب «الحس الديني»، هناك الرفقة (الصُحُوبية) التي تحتضن عزلتي، لذلك لم تعد عزلة حقيقية، بل صرخة استدعاء الرفقة (الصُحُوبية) الخفية».[٣٦]

لكننا لا ندركها. وهذا الفشل في إدراكها، وعدم استعدادنا لانتظارها، هو في الواقع ثمرة الخطيئة، ولكنه أيضاً ثمرة موقف نابع من تاريخ القرون القليلة الماضية، الذي يؤكد على تزايد إدعاء الانسان باستقلاليته الذي جعله غير راغب بشكل متزايد في الاعتراف بهذه الرفقة (الصُحُوبية) الخفية. وهذا الادعاء الذي نتنفسه نحن أيضاً في عيشنا للإيمان المسيحي يشجع على الاستسلام للإغراء المحزن عندما نقوم بأنفسنا بتحديد ما يجب أن تكون عليه الرغبة ومتى يجب أن تأتي الاستجابة لتلك الرغبة، وهكذا نجد أنفسنا غير مُتاحين وغير مستعدين للانتظار.

وحول جذور عدم استعدادنا هذا وحول كيفية ظهور هذا الانغلاق في تاريخ الغرب تجاه من يعرفني أكثر من نفسي، وتجاه «**الأنت** الذي يصنعني»،[٣٧] أدعوكم لإعادة قراءة الفقرات من رقم ١٦ إلى ٢٣ من الرسالة البابوية العامة لطيب الذكر البابا بندكتوس السادس عشر التي تحمل عنوان «بالرجاء مخلَّصون» «**Spe salvi**»،[٣٨] والفقرات الرائعة من رقم ١٠١ إلى ١٢١ من الرسالة البابوية العامة للبابا فرنسيس التي تحمل عنوان «كُنْ مُسَبَّحاً» «**Laudato si**»،[٣٩] وصفحات كتاب «الوعي الديني في الإنسان المعاصر»،[٤٠] وصفحات كتاب «لماذا الكنيسة؟»،[٤١] التي تساعدنا على فهم أفضل لكيفية ظهور هذا الادعاء بالاستقلالية أثناء الانتقال من عقلية القرون الوسطى إلى الطريقة الحديثة في التفكير الفردي المستقل. إنه تاريخ ينعكس في تاريخ كل واحد منا.

فالمواقف التي تنشأ من عدم الاستعداد هذا – حسب ما كتبه الأب چوساني في كتابه الصادر عام ١٩٦١– هي مواقف مثيرة للاهتمام وتحتاج إلى تعمقنا فيها.

«أولها وأسهلها هو شرود العقل «**evagatio mentis**». أي تشتت الانتباه بمعناه الأكثر شيوعاً، والذي يتفق مع الانعزال في تردي كئيب يعيشه غالبية الناس – بترك الذات تنغمس في مشاعر تافهة أو تستحوذ عليها بلا توقف أصوات البيئة المبتذلة».[٤٢]

ويقودنا شرود العقل إلى أن نقبل (حتى مع معرفتنا المسبقة بأننا لن نشبع) التنعم بإشباعات صغيرة، تصطف الواحدة تلو الأخرى في كل نهاية أسبوع أو في أوقات فراغنا، باحثين عن التشتت والالهاء، لذلك نتخلى بسهولة عن كل ما يدعونا إلى ما هو سامي ومثالي: كالصلاة، والتواصل مع بعض الوجوه الصديقة ومدرسة الجماعة والقداس (من يذهب إلى القداس يوميًا؟) وسط روتين حياتنا اليومية من عمل وعلاقات واستخدام الوقت والمال.

---

٣٦ الأب لويجي چوساني، «الحس الديني»، كتاب سبق ذكره آنفاً، الصفحات ٧٤ – ٧٥

٣٧ نفس الكتاب المذكور عاليه، ص ١٤٦

٣٨ البابا بندكتوس السادس عشر، الرسالة البابوية العامة «بالرجاء مخلَّصون»، روما ٢٠٠٧، الفقرات من رقم ١٦ إلى ٢٣

٣٩ البابا فرنسيس، الرسالة البابوية العامة «كُنْ مُسَبَّحاً»، روما ٢٠١٥، الفقرات من رقم ١٠١ إلى ١٢١

٤٠ تم إعادة نشره في كتاب الأب لويجي چوساني «معنى الله والانسان المعاصر. المسألة الانسانية وحداثة المسيحية»، بور، ميلانو ٢٠١٠، ص ٧٩–١٣٧

٤١ الأب لويجي چوساني، كتاب «لماذا الكنيسة؟»، بور، ميلانو ٢٠١٤، ص ٣٥ – ٧٧

٤٢ الأب لويجي چوساني، كتاب «إحمل الرجاء»، سبق ذكره، الصفحات ١٥٦ – ١٥٧

أفتح قوسين. هل تدركون أن الخطايا ضد الرجاء التي يتحدث عنها الأب چوساني ليست انتهاكات لقواعد معينة، بل هي تنازلات تجاه إنسانيتنا، واختزالات تخنق عظمة تلك الصرخة التي جعلت أتاهوالبا يوبانكوي (Atahualpa Yupanqui)، المغني صاحب أغنية «مستحيل» الشهيرة يقول: «لكن لماذا خلقت لي عينان إذن؟ ولماذا يكون لي عينان إن كنت لا أستطيع الرؤية؟».[٤٣] قد يكون عدم الرضا الحتمي علامة يمكن أن تجعلنا ننطلق من جديد، ولكن بدلاً من ذلك ينتهي بنا الأمر إلى حالة من التهرب من الواقع. فبدلاً من إدراك عدم الرضا كنقطة انطلاق للانفتاح على الآخر، ننغلق بسهولة في دائرتنا الخاصة أو بالأحرى في فقاعة أحلام بلا نسمة اللانهائي.

وهكذا، يسود أسلوب حياة بلا يقين، يبرره تداخل التساؤلات والاحتمالات، وما نحب أو ما لا نحب، مما يؤدي إلى إختزال قلوبنا وإيقاعها في شِركْ ضباب حزين. وفي هذا الصدد، نجد بعض نصوص الأب چوساني مثيرة للإعجاب. فعلى سبيل المثال، «بشر بلا وطن»: «الـ''لكن'' والـ''إذا''، والـ''ربما'' أمام الهاجس، والتكهن، والبديهة، واستشراف الحقيقة هي وصمة خزي وعار، وانعدام للشجاعة، وانعدام الالتزام. إذ يبدو الأمر كما لو أن شخصاً ما يمد يده لمصافحتك كصديق، وتقدم أنت نفسك بيدين مرتخيتين، وأصابعك إلى الأسفل، وإبهامك لا يرتفع حتى للإمساك بيده. [...] ففي مواجهة الحياة، الـ''لكن''، والـ''إذا''، والـ''ربما'' هو تهاون غير واضح [...] بل وضيع و ''مُوحِل''؛ لا، على العكس إذ [يقول]، ليس موحل، ولكن، على مثال تلك اللزوجة المميزة لنوع معين من مياه المستنقعات.[٤٤]

يا له من شيء مُنفر! البقاء في وحل ولزوجة المستنقعات... كم هو مؤثر هذا الوصف بالاختزال الهش لانسانيتنا، الذي نُسَاق إليه كل يوم، دون أن نلاحظه. إن إهمالنا هذا – المتكبر لأنه لا يطلب – يُظهر استسلامنا لقوة الشر، ''قوة الشر''، الشيطان، الذي يسعى إلى إبعادنا عن المسيح بفصلنا عن إنسانيتنا، وبإغراقنا في سطحية من الرمال المتحركة التي تصير موضع شك وريبة، كما يقول كتاب ''الحس الديني'' بخط نار الـ''لكن'' والـ''إذا'' الذي يواجه تراجع الالتزام الشخصي بعلاقته بالسر (بالله).[٤٥]

لقد وجدت تراجع الالتزام هذا موصوفاً في مقال نُشِرَ في ٦ يناير عن استطلاع أجراه مكتب الدراسات التعاونية، والذي تحدث عن إيطاليا باعتباره «بلد في حالة توقف مؤقت» (بالأمس كان دافيد يستشهد بتقرير لمركز Censis للدراسات الاستثمارية والاجتماعية الذي يصور إيطاليا وهي ''تسير في حالة نوم''). «هناك الرغبة في التغيير لكن لا أحد يؤمن بذلك. والمشاريع الكبرى هي التي تدفع الثمن [...]. ففي الواقع، بسبب التأجيلات والتخلي عن المشاريع، يرضى الإيطاليون بحياة مكونة من أشياء صغيرة، ويعيشون بالاقتطاع وليس بالإضافة، ومستقبل البلاد يتقلص في ديناميكية زمنية يهيمن عليها الحاضر».[٤٦] نعم، ولكن حاضر بلا ماضٍ وبلا مستقبل، وبلا رجاء؛ فحاضر الأشياء الصغيرة بالتحديد، هو الذي يمكن للمرء فيه التنعم.

---

[٤٣] لماذا أريد عيناي؟ أأريدهما للخدمة؟»، (أتاهوالبا يوبانكوي، ڤيدالا المستحيلة، سبق ذكرها آنفاً)

[٤٤] الأب لويچي چوساني، «بشر بلا وطن (١٩٨٢ – ١٩٨٣)»، كتاب سبق ذكره، ص ١٢٣

[٤٥] الأب لويچي چوساني، «الحس الديني»، كتاب سبق ذكره، ص ١٨١

[٤٦] أ. سكاليسي، «بلد في توقف مؤقت وقليل من الآمال: يجدون ملاذهم في النزوات الصغيرة»، جريدة لا ريبوبليكا، ٦ يناير ٢٠٢٤، ص ٧

أما الخطيئة الثانية ضد الرجاء التي أشار إليها الأب چوساني هي لامبالاة الرواقية كمحاولة لوقف الرغبة في الأشياء العظيمة: «إنها في جوهرها الادعاء بقياس كل شيء بطاقة الانسان ومعرفته لمعيار ومواجهة ثقل كلّ شيء بإرادته الخاصة. [...] إنه الغرور الذي يحِد من أبعاد الإنسان في محاولته العنيدة لتأكيد ذاته. ونود هنا الاقتباس من وليم شكسبير (William Shakespeare): «إن هناك أشياء في السماء والأرض، يا هوراسيو (Orazio)، أكثر مما يوجد في فلسفتك».[٤٧]

يحدد هذا الموقف تحقيق الرغبة بصور ننتجها نحن: وسأكون سعيداً إذا كان لديّ امرأة أو رجل، إذا كسبت ما يكفي من المال،و إذا كان لديّ أطفال وأولاد صالحون، إذا... إذا... إذا. وفي عام ١٩٦١ رأى الأب چوساني كيف أن هذه الإيديولوجيا، هي في جوهرها العدمية، تتنكر في شكل رجاء يوضع في تغيير المجتمع، وفقًا لمشروع جماعي، لكن يمكننا اليوم أن ندرك (باستثناء البلدان التي لا يزال هذا الوهم الإيديولوجي فيها يغذي السلطات الديكتاتورية التي تجعل حياة شعوب بأكملها حزينة ومريرة) أن الوهم الطوباوي للسلطة «الغرور الذي يحد من أبعاد الإنسان في محاولة لتأكيد ذاته بعناد»، واختزالها في مجتمعنا بالتأكيد على ما يسمى بالحقوق الفردية، ونفي وإنكار أي معطيات موضوعية باستثناء اختيار الفرد (إذا كان هناك صرخة في داخلي، كما سمعنا في أغنية «أي إنسان»: «هل هناك أحد؟»،[٤٨] وهنا نحكم على هذا السؤال بالعبثية)، في تدفق على جميع المستويات، من تغيير العَلَم والرأي حسب اللحظة إلى إنكار الاختلاف الجنسي كحقيقة موضوعية، في مختلف أشكال الأيديولوجية الجنسانية – التي أشار إليها البابا فرنسيس مراراً وتكراراً[٤٩] باعتبارها النقطة الأكثر تقدماً في «الاستعمار الأيديولوجي» الجاري. فالوثيقة الأخيرة لمجمع عقيدة الإيمان التي تحمل عنوان «كرامة بلا حدود» Dignitas infinita، هي حقاً عوناً كبيراً، اقرأوها لفهم أين تكمن النقطة المقصودة؛ ففي البداية تميّز الوثيقة بين الكرامة الوجودية التي يتمتع بها كل انسان والكرامات الأخرى المزعومة، والتي هي في الواقع نفي لكرامتنا بسبب الطريقة التي خُلقنا بها. وقد قارن قداسة البابا مراراً وتكراراً هذا الاستعمار المنطقي الأيديولوجي مع ذاك الذي وصفه روبرت هيو بنسون (Robert Hugh Benson)[٥٠] في روايته «سيد العالم» – التي نعرفها جيداً – والذي يصل إلى حد القتل الرحيم والتعصب الهائل تجاه أولئك الذين لديهم نظرة عميقة للإنسان وللواقع.

ولكن حتى الحروب، التي تملأنا في زماننا هذا بالفزع، يكون دافعها الأعمق هو هذا الاختزال لإنتظار إكتمال مشروعها الخاص، والذي تكون ثمرته الموضوعية – التي نتحقق منها كل يوم – هو الأنقاض وإبادة الإنسان واليأس. وهنا نرى أن حلم تأكيد الإنسان لذاته، والاستجابة المستقلة لرغباته الخاصة، يصبح في الحقيقة كابوساً.

---

[٤٧] الأب لويجي چوساني، «احمل الرجاء»، كتاب سبق ذكره، الصفحات ١٥٧–١٥٨

[٤٨] «.. هل هناك أحد؟ / أنا أحتاج لأحد / من فضلكم أرسلوا أحداً / يارب، هل هناك أحد؟ / أحتاج لأحد»، (ديمي لوفاتو، أي أحد، من ألبوم «الرقص مع الشيطان ... فن البدء من جديد، ٢٠٢١، © أيلاند)

[٤٩] خطاب ألقاه البابا فرنسيس مؤخراً أمام المشاركين في المؤتمر الدولي «الرجل والمرأة صورة الله. من أجل علم إنسان الدعوات» (١ مارس ٢٠٢٤)، والذي يقول فيه البابا فرنسيس من بين أمور أخرى: «من المهم جداً أن يكون هناك هذا اللقاء بين الرجال والنساء، لأن أقبح خطر اليوم هو أيديولوجية الجنس، التي تلغي الاختلافات. وقد طلبت عمل دراسات حول هذه الإيديولوجية القبيحة في عصرنا والتي تمحو الاختلافات وتجعل كل شيء متساوي؛ إن محو الاختلاف هو محو للإنسانيّة. لكن الرجل والمرأة يبقيان في «توتر» خصب. وأتذكر أنني قرأت رواية من أوائل القرن العشرين، كتبها ابن رئيس أساقفة كانتربري: «رب العالم». وتتحدث الرواية عن المستقبل وهي رواية نبوية، لأنها تظهر هذا الميل إلى محو كل الاختلافات. إن قراءتها مثيرة للاهتمام، فإذا كان لديكم وقت إقرأوها، لأن فيها هذه المشاكل التي نعيشها اليوم؛ لقد كان ذلك الرجل نبياً».

[٥٠] روبرت هيو بنسون، «سيد العالم»، ياكا بوك، ميلانو ٢٠٢١

ورغم كل شيء فكثير من الشباب الذين لا تزال قلوبهم حية، وبتقليص الرغبة إلى الحرية المزعومة في أن نقرر نحن ما الذي يمكن أن يرضيها ويشبعها ، كالحلم و غياب العلامة، يجدون أنفسهم غير واثقين من أنفسهم ومن قيمتهم ومن مكانهم في العالم، لأنهم لم يتعلموا أبداً أن يحبوا قلوبهم في طلبها للامحدود. في أحد الأيام، وبينما كنت في زيارة لمركز للأبحاث لعلاج الاضطرابات العصبية والنفسية للأطفال والمراهقين، وهو مركز عالمي بامتياز، دخلت غرفة ووجدت نفسي أمام حوالي عشرة فتيات صغيرات اللاتي يعانين من اضطرابات ناجمة عن التغذية. وقد أثرت في نفسي رؤية عيونهن: شاحبة وحزينة؛ وبقيت في قلبي حقاً ذلك المشهد! وأخبرني الأطباء عن الزيادة الهائلة في عدد الأولاد الذين يعانون من هذه الاضطرابات النفسية والعديد من الاضطرابات النفسية الأخرى. إذ بدت تلك العيون ميؤوساً منها حقاً. وأثناء زيارتي لمصحة أخرى للمراهقين المصابين بأمراض نفسية، كانت هناك فتاة صغيرة بدت لي طبيعية، لكن الطبيبة حكت لي قصتها التي تتكون من مواقف لا تجد فيها من يقول لها: «أنتِ محبوبة ومرغوبة». قد يفكر المرء: «أنا أختار من أكون»؛ في الواقع، بدون علاقة مع آخر يستطيع أن يحقق ذاتك، ستظل يائساً وتفقد إنسانيتك. بالنظر إلى هؤلاء الفتيان والفتيات، بدا لي واضحاً أنه بعد قطع أجنحة الأمل في الإشباع الكامل، كيف يمكنهم الطيران؟ أي حرية تلك التي تحكم علينا بأن نقرر وحدنا من نحن ثم ندرك أن هذا لا يكفي؟ ففي غياب هذا الأمل، وفي هذا الاستسلام للعدم نرتمي في أحضان اليأس ويزداد العنف تجاه الذات وتجاه الآخرين. ويبدو لي أن الزعم بخفض مستوى الرغبة، واختزالها إلى شيء أقرره أنا، هو شكل واضح من أشكال تدمير الإنسان.

ولكن إن كنا صادقين مع دافع طبيعتنا ومع الرغبة التي تكوّننا، فإن كل ما نرغب فيه يقودنا، كعلامة، إلى مصدر ومنبع كل شيء، إلى الله. اسمحوا لي أن أقتبس بعض الأبيات من النشيد السادس عشر من مجلد المطهر من كتاب «الكوميديا الإلهية» للشاعر دانتي أليجييري (Dante Alighieri): «وإن النفس الساذجة لتبعث من يد مَنْ يتأمّلها من قبل أن توجد، كأنها طفلةٌ غريرةٌ تلهو بين الضحكات والدموع. وهي بسذاجتها لا تُدرك سوى أنها منبعثةٌ من يد خالقها، وتعود راضيةً إلى ما يبهجها» [شرح الأبيات: تخرج الروح من يد الله الذي يبدو أنه يتركها تطير كالفراشة، وهو الذي ينظر إليها بإعجاب، بحب الأب، يكاد يعجب بها حتى قبل أن تكون، يفكر فيها ويخلقها في محبته. فالنفس التي لا تزال غير متمرسة لا تعرف شيئاً ولا تعرف إلا أن يحركها الذي خلقها بسعادة أن تتجه طوعاً نحو ما يبهجها، أي أنها تود أن تعود إلى ذلك الفرح الذي هو الوحيد الذي يمكن أن يملأ كل فراغ وجودها الملقى في خضم الواقع. وسرعان ما تشعر بالمذاق الحلو لشيء صغير، فتنخدع على الفور وتهرول وراء أول شيء يجذبها لولا وجود من يوجهها ويقيدها ويجعل حبها يتجه إلى الأمام أكثر فأكثر].[٥١]

وفي نص جميل آخر يقول دانتي أن الإنسان في الواقع كالواقف أمام هرم؛ في البداية هناك خير صغير، فهو كطفل يرى الفول السوداني ويحبه، وبعد قليل من الوقت لم يعد يكفيه ذلك ثم يرى لعبة ولم تكفيه، ثم يرى حصاناً ثم فتاة ثم يرى مالاً ثم – يقول دانتي بواقعية شديدة – يريد مالاً أكثر ثم يريد مالاً أكثر. ولكن كل هذه الأشياء – كما يعلق الشاعر – ليست ضد بنية إنسانيتنا، وليست رغبات تجعلنا ننحرف بعيداً عن الله، بشرط أن ندرك أنها لا تكفينا، وأنها محطات على الطريق الذي يجعلنا

[٥١] دانتي أليجييري، كتاب الكوميديا الإلهية، مجلد المطهر، النشيد السادس عشر، الأبيات ٨٥ – ٩٣، بور، ميلانو ٢٠٠٦، ص ٢٠٢

نتعرف على الخير الأوحد الذي يكفينا. فالرغبات خير، بالنسبة لدانتي، ولا يجب محوها لأنها خطوة نحو مصيرنا.

ولكن تأثرت مما قاله الأسقف النرويجي إيريك ڤاردن (Erik Varden) في مقابلة تم نشرها في عدد الشهر الماضي من مجلة «آثار»؛ والتي أعتقد أنكم قرأتموها أيضاً. سأقرأ نصها لكم مرة أخرى: «إن الرغبة هي تعبير عن كوننا مخلوقين من الله. فهي شيء جوهري في الطبيعة البشرية. ويسكن فينا صدى و نداء. إنه الرب الذي يجعل شبهنا به يغني فينا. فالرغبة هي محرّك حياتي لأنها توجّهها إلى ملء الاتحاد مع الله الذي نعيشه أيضاً في علاقاتنا مع الآخرين. وخطيئتنا هي تخريب للرغبة [أترون؟ الخطيئة ليست كسراً لقاعدة، بل هي تدمير لأنفسنا]، والتي تتفتت إلى أشياء كثيرة مختلفة. لكن إذا نظرنا إلى أين تأخذنا هذه الرغبة العميقة، ندرك نسبية كل الأشياء التي لا تكفي لإشباعها. وفي الوقت نفسه، ندركها في قيمتها الحقيقية، لأنه فقط في ضوء ذلك الذي يروي عطش الحياة [الله]، يكشف لنا حتى كل شيء صغير عن معناه».[٥٢]

النعمة الكبرى

يا له من جمال! فقد التقينا بخبرة التقدير هذه لكامل كياننا كبشر.

واليوم أكثر من أي وقت مضى، في العالم الذي نعيش فيه، وفي الوضع الملموس في هذه الأيام، من الضروري حقاً حتى نعيش الرجاء أن نكون قد نلنا نعمة عظيمة. لهذا السبب أعود من جديد إلى المقاطع التي يساعدنا من خلالها الأب چوساني على فهم ما يولّده اللقاء مع يسوع على بنية الرغبة التي تكوّننا، دون أن يلغيها بل يعطيها تحقيقاً. ففي بداية الفصل حول الرجاء في كتاب (هل يمكننا (حقًا؟!) أن نعيش هكذا؟!)، يستخدم، لتلخيص نقاط تأمله، مقطعاً من كتاب «في البحث عن الوجه الإنساني»، والذي أعيد طرحه أيضاً في مُلصق عيد الفصح في عام ١٩٩٦ : «إن الرجاء هو يقين في المستقبل بفضل الواقع الحالي. لذلك فإن حضور المسيح، الذي تعرفه الذاكرة، هو الذي يجعلنا متأكدين من المستقبل. ومن الممكن عندئذٍ أن نسير بلا توقف وأن نمتد بلا حدود، منطلقين من اليقين بأنه يملك التاريخ الذي سيتجلى فيه».[٥٣]

١) حضور

ويؤكد الأب چوساني في تعليقه على هذا النص في كتاب (هل يمكن حقاً؟ العيش هكذا؟) بقوله: «أولاً. هناك حضور، فحياة الإنسان لها حضور، وله حضور في ذاته: وحضور الناس والأشياء. يمارس كل هذا الحضور جاذبية، لذلك تبدأ نفس الإنسان بالرغبات التي تشكل قاعدة الانطلاق لكل ديناميكيته. والإنسان ليس «كائناً ماكراً». فجاذبية هذا الحضور تثير مُثُل الحياة: مثل الجمال والحقيقة والإبداع والعمل (والإبداع هو العمل). وكل تعلُّق الإنسان بهذه المُثُل وبالتالي التقدير الذي يؤدي إلى رغباته، [لكنها] تعميه عن زائليتها: ولا يرى الإنسان أن كل هذه علامات وإشارات على طول

---

[٥٢] إيريك ڤاردن، «توسيع الرغبة»، مقابلة مع أ. ليوناردي، مجلة «آثار»، عدد ٣ / ٢٠٢٤ ، ص ١٨

[٥٣] الأب چوساني، «هل يمكن حقاً؟ العيش هكذا؟»، سبق ذكره ، ص ٢٦٥. وراجع كتاب «في البحث عن الوجه الانساني»، بور، ميلانو ٢٠٠٧، ص ٩٢

الطريق».[٥٤] وكأنه يلخص المسيرة التي سارها منذ مساء الأمس إلى الآن؛ وربما نفهمه أكثر قليلاً الآن، بسبب المسيرة التي قطعها بالتحديد.

فنقطة الانطلاق للحديث عن الرجاء هي – كما رأينا بالأمس – الواقع والحضور وإيجابية الرغبة، ولكن أيضاً الخداع الذي نسقط فيه بسهولة. فالحضور، الذي يجعل الرغبة تهتز، ويثير انجذاباً يحركها. غير أن هذه الحركة الإيجابية تتلاشى فوراً بالتشبث بالحضور الفوري الذي يثير الرغبة، بدلاً من أن نعيشها كهبة وعلامة ترسلنا إلى ما هو أبعد. وتتولد بذلك عدم الاستعداد للانتظار الذي يحول الرغبات إلى أحلام وحلقات ودوائر مغلقة، فبدلاً من أن تضعنا في طريقنا، تغلق علينا الطريق.

٢) المثل الأعلى يحدث

عند هذه النقطة، يخطو الأب چوساني خطوة أخرى: «ثانياً. هناك حضور (من بين حضور كثير)، وهو حضور كلمة الله الذي صار إنساناً في أحشاء العذراء مريم. إنه حضور الذي خُلق منه كل البشر والأشياء، إنه من خَلَقَ العالم، وبالتالي كل الواقع المخلوق هو علامة له، ويجد فيه حقيقته (وإلا فهو أكذوبة) وتحقيقه (وإلا فهو باطل). وكل المُثُل التي تنشأ بطول المسير هي دالة عليه، فهو المثل الأعلى؛ ولا تكون رغبات الإنسان حقيقية وفعالة إن لم يعشها في توافق وانسجام مع رغبة الخالق. وخبرات الحب، والبحث عما هو حقيقي، والخصوبة، والبناء، هي نماذج للدخول في اختبار سره: هذا هو المثل الأعلى لحياة الإنسان بعد مجيئه ليبقى إلى يوم مجده. لكن عيش هذا الانتظار هو رجاء كل رجاء».[٥٥]

لذلك فحضور المسيح الذي تعلنه الذاكرة – وبأفعال معينة، وبعلاقات معينة، وفي لحظات معينة مثل صلاة الصباح، وسر القربان المقدس والقداس الالهي، وهي أدوات هذه الذكرى التي تجعلنا نتعرف في الحال على الحضور الذي خُلق قلبنا من أجله حقاً – يعيد الأمور إلى مكانها: ويصير كل شيء حسن ومحبوب، لأن كل شيء هو علامة وخطوة للدخول في علاقة معه.

أ) الوثبة من الرغبة إلى الانتظار تتحقق في المسيح

إن يسوع بالتحديد هو الذي بمجيئه يحوّل رغبتنا ومُثُلِنا التي تنشأ في مسيرة حياتنا بالدعوة لانتظاره ونحن في يقين بمجيء الذي ننتظره. إنه أشبه بحالة من التحوّل، وبخطوة داخل وجوديتنا، واستعادة وجوديتنا الحقيقية. وفي عظة لا تنسى في عشية عيد الفصح، تحدث البابا الطيب الذكر بندكتوس السادس عشر عن «وثبة نوعية في تاريخ ''التطور'' [التي حدثت بقيامة المسيح] والحياة بشكل عام نحو حياة مستقبلية جديدة، ونحو عالم جديد إنطلاقاً من المسيح، ويخترق بالفعل عالمنا هذا باستمرار، ويحوّله ويجذبه إلى ذاته».[٥٦]

أعود مرة أخرى إلى نص عام ١٩٦١ الذي بدأنا منه بالأمس. وفيه يتحدث الأب چوساني هكذا عن هذا النوع من الارتقاء بالإنسان، الذي يجعل من الممكن العبور من الرغبة، من الرجاء البشري –

---

[٥٤] نفس الكتاب المذكور عاليه، الصفحات ٢٦٥ – ٢٦٦

[٥٥] الأب لويجي جوساني، «هل يمكن حقاً؟ العيش هكذا؟»، سبق ذكره، ص ٢٦٦

[٥٦] البابا بندكتوس السادس عشر، عظة عشية عيد الفصح، ١٥ إبريل ٢٠٠٦

الذي يكتنفه عدم اليقين ويختلط بسهولة مع الأحلام التي غالباً ما تصبح كوابيس – إلى الرجاء المسيحي الذي يحتضن كل الرجاء البشري، لكنه يفتح له أفقاً أكبر، بلا حدود، والذي يمكننا التطلع إليه وانتظاره بيقين. وقال في ذلك النص: «إن حدث، وحقيقة جديدة تغيّر شروط المشكلة بشكل عميق. فقد أدخل الله نفسه شخصياً في هذا الوضع البشري المأساوي: أدخل نفسه بواسطة المسيح. ويكشف المسيح أولاً وقبل كل شيء عن اتساع المصير الانساني الذي لا شك فيه [...]. فمعنى الوجود، كما يكشفه المسيح، يكمن في مصير العلاقة الشخصية والخارقة للطبيعة مع الله [...]. ثانياً، يقدّم لنا المسيح في ذاته الإمكانية الملموسة لبلوغ هذا المصير السري الذي لا يمكن التنبؤ به. [...] أنا أصير طريقك، أنا ضمان الحل، والطريق إليه. نعمة الله **Gratia Dei**: تحقق الإنسان هو عطيّة وعطيّة أكثر بكثير من أصل الإنسان نفسه الغير متوقع والذي لايمكن التنبؤ به».[٥٧] نحن خُلِقنا على هذا النحو: الرجاء، والانتظار المنفتح على اللامتناهي، وحضور المسيح الذي يقدّم ذاته كطريق يمكّننا من الوصول إلى تحقيق الرغبة التي خُلقنا من أجلها.

لنعد إلى ما يحدده الأب جوساني بأسمى وأعمق لحظة في قصة ليوباردي الإنسانية والشعرية، في التعليق الذي يقوله في كتاب «هل يمكن حقاً؟ العيش هكذا؟»: «جاء المسيح ليوضح هذه اللعبة: ''كل شيء هو علامة عني. وكل شيء يتحدث عني''. كل شيء عظيم في حياة الإنسان هو نبوءة عنه. [...] وعندما يتنبأ الإنسان بذلك – كما فعل ليوباردي في ذروة مساره الإنساني في أنشودته ''إلى امرأته'' – فإنه يحني نفسه في الحال لانتظار الشيء الآخر: حتى في مواجهة ما يستطيع أن يدركه ينتظر شيئاً آخر؛ إنه يدرك بما يستطيع أن يدركه، ولكنه ينتظر شيئاً آخر. الرجاء ليس في ما يمكنك إدراكه، بل في شيء آخر. شيء آخر... [...]. إذن الرجاء الذي يوقظه المسيح ويغذيه هو رجاء إنساني إقتطعت منه النعمة الوهم الذي يأتي من كل الأشياء، ليس لأنها سلبية في حد ذاتها، بل لأن إيجابيتها تشير إلى آخر، وإلا صارت صنماً. فالرجاء المسيحي هو رجاء الرغبة الإنسانية، لكنه في مضمونه يأتي بعالم مختلف».[٥٨]

وبالتالي فمن يعيش اللقاء مع المسيح لم ''يتجاوز'' الرجاء البشري الذي يظل «حالة شجاعة من انتظار خير مستقبلي شاق وصعب في عين الحاضر»،[٥٩] كما يقول الأب جوساني في هذا النص. إن الذين يعيشون اللقاء بالمسيح قد اكتشفوا أن الخير المستقبلي الذي يبقى سراً في كل الأحوال – لأننا لا نستطيع تحديده بأي شكل من الأشكال إذ له وجه حاضر، أي المسيح ذاته.

واكتشاف الشيء المعتاد كعلامة للمسيح يجعله دائم إلى الأبد. وعندما يعطي إنسان وردة بدافع من الحب، فإنها تذبل وتموت مع الزمن، لكن المعنى الذي تحمله كعلامة – محبة الذي أعطاها – يبقى إلى الأبد ويجعلها بطريقة ما، حتى بعد أن تذبل، مشاركة في المعنى الخالد الذي كانت وسيطاً له. وبالنسبة للحبيب، لا تتوقف تلك الوردة عن كونها وردة، بل تتأخذ معنى أكبر لا يمكن قياسه؛ وربما تحتفظ بها الحبيبة وتجففها وتضعها في صورة؛ إنها لا تفعل ذلك مع أي وردة، إنها تفعل ذلك لأن ''تلك'' الوردة أصبحت علامة وإشارة إلى معنى.

---

[٥٧] الأب لويجي چوساني، «إحمل الرجاء»، كتاب سبق ذكره، ص ١٥٩

[٥٨] الأب لويجي جوساني، «هل يمكن حقاً؟ العيش هكذا؟»، سبق ذكره، الصفحات ٣٣٧ – ٣٣٨

[٥٩] الأب لويجي چوساني، «إحمل الرجاء»، كتاب سبق ذكره، ص١٥٦

ونحن نعيش بهذا. ففي التاريخ الديني للبشرية هو ما يسميه رجل الدين حقيقة مقدسة. فإذا تجلّى السرّ في مغارة معيّنة أو على حجر معيّن (فكّروا بإحدى ظهورات العذراء مريم أو العليقة المحترقة)، يبقى ذلك الحجر حجراً، لكنه لن يعود حجراً كأي حجر آخر، لأن حقيقة كونه كان وسيلة، بالتحديد، للأبدي، وللسرّ، وللامتناهي، تبقى إلى الأبد، وتصبح قيمته مقدّسة إلى الأبد. ونحن الكهنة نعرف هذا الأمر جيداً، إذ كثيراً ما نجد تماثيل صغيرة أو بطاقات مقدسة في الكنيسة تركها هناك شخص اضطر إلى التخلص منها ولم يرغب في رميها في سلة المهملات، لأنها صور مقدسة. «دعوا الكاهن يفعل ذلك...»، وكأنه يقول: الكاهن، كونه مكرساً، يستطيع أن يقرر. هذا الذي ''يحمل'' معنى الواقع يخرج من ابتذال الأشياء العادية، ويستمد من الأبدي إلى الأبد. هذا ليس مجرد خرافة، بل يخبرنا كيف أننا خُلقنا لكي ندرك كل شيء كعلامة للذي صنعه.

دعونا نفكر في نوع النظرة التي يمكن أن تكون له على الآخرين، وعلى الخليقة، وعلى العالم، وهو الذي يرى ويعترف بكل شيء، وبكل إنسان، في انبثاقه من السر الذي هو معناه وبالتالي يجعله مقدساً. لم يعد هناك فصل للمقدس عن الدنيوي، لأنه بما أن كل شيء مرتبط بالمسيح، يصبح كل شيء مقدساً بطريقة ما. ومن منظور الأزلي الذي يتواصل معنا في يسوع، نفهم عندئذٍ أن حتى الأشياء التي نعتبرها متناقضة مع الرجاء، أي الخطيئة والحزن والموت، نراها من خلال معرفة أنها تجد معنى فيه وحده، قد لا نعرفه بعد. عندئذ يمكننا تقريباً القول بأنها جُعِلت مقدسة، بمعنى أنها تشير إليه كطلب المعنى وطلب الغفران، وبهذا المعنى يتم التغلب عليها فيه، كما تعلن هذا كل الصلوات الليتورجية في زمن الفصح وهي مليئة بالتهليل. ولأن يسوع قد قام من بين الأموات، فإن كل شيء يدخل في هذا التحديد، حتى الموت قد هُزِمَ، منذ الآن وإلى الأبد.

ب) حضوره المعترف به بالإيمان يحوّل الحاضر والمستقبل

وهذا الحاضر الذي هو فيه، باعتباره الحضور الذي يتنظم حوله كل شيء بمعنى جديد ومقدس، يجعل الانسان متأكداً، بالتالي، من المستقبل. فهذا هو الفرق بين نظرة الانسان إلى المستقبل الذي يملك هذه البنية من الرغبة ولكنه لم يلتقِ بالمسيح وبين نظرة الإنسان الذي نال النعمة العظيمة. ويقول الأب چوسّاني: «ماذا تفعل الحياة المسيحية؟ إنها تجعلك تعيش الحاضر بانتباه إلى كل أمور الحاضر بحيث أنك بانتباهك أيضاً إلى البحر أمامك ترى في نهاية أفق البحر نقطة صغيرة؛ وهي ليست سفينة تغادر، بل سفينة آتية. إنه المصير الذي يأتي إليك، وإنه ليوم عظيم عندما تدرك أن النقطة الصغيرة التي هي المصير الذي يأتي إليك، إنه يوم عظيم عندما تدرك أن النقطة الصغيرة التي هي المصير هي التي تأتي، إنه مثل كريستوفر كولومبوس (Cristoforo Colombo): لقد كان يوماً عظيماً عندما بدأ يلمح شريطاً صغيراً من الأرض».[٦٠] ولهذا فإن انتظار المستقبل لا شك فيه: حتى وإن لم تعرفه بعد، فأنت تعلم أن المصير مؤكد وخير، لأنه بين يدي من يحبك.

---

[٦٠] الأب لويجي چوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، كتاب سبق ذكره، ص ١٨٥

٣) حضوره يضاعف محاولاتنا مائة مرة

لنعود إلى ملخص كتاب ''هل يمكن للمرء حقاً ؟ أن يعيش هكذا ؟''، والذي يستمر على النحو التالي: «ثالثاً. هو، إذن، يجب أن يدخل ليحدد كل المحاولات التي فيها الرجاء البشري – هو المحرك، الرجاء! – ويبحث عن الخبرة السامية والنهائية التي تجعل الخبرات الإنسانية المعتادة أكثر بهجة بمئة ضعف. فالقدرة على الألفة أو المحبة مع المسيح، وزيادة قيمة العمل، وتمجيد المودة الوجدانية، والبطولة التاريخية كخليقة شعب الله: هذه هي النتائج».[٦١]

لذلك يمكنك أن تكون منتبهاً لكل أمور الحاضر ومستعد لما يأتي من السر؛ ومهما كان شكله، فأنت تعلم في أعماقك أنه خيرلك. فهو يمتلك التاريخ ونحن أيضاً نمتلك الحاضر الذي هو عطية منه. والتركيز على هذه الكلمة: عطية. فالمسيح يسمح لي بأن أمتلك الحاضر لأنه موجود في الحاضر، وبالتالي، في تلقي محتوى الحاضر كعطيّة منه، أمتلكه حقاَ (كل شيء يصبح مقدساً) وأنا متيقن من الغد، مهما كان.

يعد يسوع الرسل بأنهم سيملكون الواقع الحاضر والمستقبلي كما يملكه هو، بل إنهم سيقومون بأشياء أعظم مما قام به هو، عندما ينالون الروح القدس، كما جاء في الإصحاح الرابع عشر من إنجيل القديس يوحنا: « اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَالأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا يَعْمَلُهَا هُوَ أَيْضاً، وَيَعْمَلُ أَعْظَمَ مِنْهَا [هل تفهمون؟ يعمل أعظم منها!] ، لأَنِّي مَاضٍ إِلَى أَبِي. وَمَهْمَا سَأَلْتُمْ بِاسْمِي فَذَلِكَ أَفْعَلُهُ لِيَتَمَجَّدَ الآبُ بِالابْنِ. إِنْ سَأَلْتُمْ شَيْئاً بِاسْمِي فَإِنِّي أَفْعَلُهُ ». [٦٢]

فبيقيننا به نصبح أبطالاً لشأن جديد يدخل في كل شيء، ولكن يظل هو فقط رجاؤنا على الدوام. ويستشهد الأب چوساني في كتابه «هل يمكن العيش هكذا؟» بما حدث مع الرسل في الفصل السادس من إنجيل يوحنا، عندما قال يسوع في المجمع في كفرناحوم بأنه يجب عليهم أن يأكلوا لحمه ويشربوا دمه، فتركوه جميعاً معتقدين أنه مجنون. ثم سأل تلاميذه الذين بقوا رغم أنهم لم يفهموا: «أَلَعَلَّكُمْ أَنْتُمْ أَيْضاً تُرِيدُونَ أَنْ تَمْضُوا؟. فَأَجَابَهُ سِمْعَانُ بُطْرُسُ: ((يَا رَبُّ، إِلَى مَنْ نَذْهَبُ؟ ». [٦٣] وهنا يعلق الأب چوساني قائلاً: «على ماذا استند رجاء بطرس ويوحنا وأندراوس ويوحنا في يسوع؟ لقد كان يسوع بالنسبة لهم هو الذي كانوا يخاطبونه بصيغة «الأنت»، لأنه كان حاضراً: [...] لقد كان هو الانسان الذي قبلوا أن ينتموا إليه والذي أسس يقينهم بالمستقبل». [٦٤] إن عظمة حضوره هي بالضبط ما يجعل الانسان متيقناً من المستقبل.

وأستطيع أن أحكي لكم هنا شيئاً من خبرتي الخاصة، عن ذهابي إلى دولة بيرو قبل ثلاثة وعشرين عاماً، أو عن تعييني أسقفاً العام الماضي. في كلتا الحالتين، كانتا خيارين كبيرين، تضمّنتا''إحراق السفن'' – لأستخدم صورة مناسبة، ليس أقلها أن هذا ما فعله هرنان كورتيس (Hernán Cortés) عندما وصل إلى أمريكا، كقسم ونذر بعدم العودة إلى الوراء أبداً –، لأن الأمر كان مسألة قول كلمة نعم لتغيير كامل في الحياة – لم يكن مشروعي، بل أقول لكم بصراحة بأنني لم أفكر في

---

[٦١] الأب لويچي جوساني، «هل يمكن حقاً؟ العيش هكذا؟»، سبق ذكره، ص ٢٦٦

[٦٢] يو ١٤: ١٢ – ١٤

[٦٣] يو ٦

[٦٤] الأب لويچي جوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، سبق ذكره، ص ١٨٦

الأمر حتى اليوم السابق على طلبهم لي بالاستعداد للسفر والذي قبلته ليس لأنني كنت أعرف ما سيحدث، ولكن لأنني أدركت أن هذه الخطوة كانت وما زالت هبة من يسوع، وبالتالي يمكنني أن أغامر وأجازف. فأنت تعرف في من تضع ثقتك ومن توكل إليه مستقبلك الذي لا تعرفه ولا يمكنك حتى أن تتخيله، لكنك تعرف أنه الطريق الذي يجعلك تسير فيه نحو الملء، نحو المصير.

وقبل يوم من اقتراح الذهاب إلى بيرو – كنت قد عُيّنت منذ فترة قصيرة كاهن رعية في كوفرتشيانو (Coverciano) (حي مشهور في فلورنسا "Firenze"؛ بالمناسبة، عندما قال لي رئيس الأساقفة: «سأرسلك ككاهن رعية إلى كوفرتشيانو»، كدت أشعر بالخجل، لأن أول ما خطر ببالي هو أن: «الرعية تبعد خمسمائة مترعن الاستاد!») وبدا لي بأن حياتي مكتملة وحسنة أيضاً. ولكن عندما نظرت إلى الأمر بعد ذلك، عندما كنت بالفعل في ليما (عاصمة بيرو)، قلت لنفسي يا لها من قفزة نوعية في الوعي بالمسيح، وبالتالي في وعيي أنا! ويا لها من نعمة فهم مائة ضعف للموهبة (الكاريزما) التي كنت أنتمي إليها بالفعل (فقد تعرفت على الحركة عندما كنت في السادسة عشرة من عمري)، ولكنني لم أكن أرى منها سوى قمة جبل الجليد! كم من قوة جديدة وعمق حياة ستعطيني في التاريخ العظيم للحركة في أمريكا اللاتينية، والتي لم يكن لي علاقة بها تقريباً في اليوم السابق، باستثناء أنني غنيت «أيها المساء الأحمر، والأفق الجميل، إن عينيّ لم تراك أبداً ...». [٦٥] كنت أعتقد دائماً بأنني لا أستطيع العيش في مكان لا يمكن لي أن أرى منه قبة كاتدرائية فلورنسا، التي أنا مولع جداً بها وبمدينتي. ولكن منذ ذلك الحين، كانت المغامرة هي التي لا تزال تسائلني وتحرك إيماني.

وحدث الشيء نفسه في العام الماضي: إذ كنت أشعر بالفعل بأنني في موضع تساؤل، ولكن أيضاً بالرضا بطريقة ما في وضعي الجديد: كنت كاهناً رعوياً في فلورنسا، وكنت قد تركت منذ فترة قصيرة مختلف المهام الأبرشية التي كانت موكلة إليّ في السنوات السابقة (والتي أثقلتني قليلاً، بصراحة)، لأن رئيس أساقفتي، الكاردينال بيتوري (Betori)، سمح لي بالتفرغ للمهمة الجديدة – التي أوكلت إليّ منذ شهر أغسطس ٢٠٢٢ – وهي أن أكون المسئول عن أخويتنا بمنطقة أمريكا اللاتينية. لقد كان تحدياً هائلاً آخر. وأتذكر بأنني قمت بتحديد موعد مع دافيدي لأنه بعد رحلة إلى الأرجنتين، حيث كانت هناك إمكانية لخدمة كنسية ملموسة للغاية، اعتقدت أنه ربما يكون من المفيد الذهاب والعيش هناك. وبالمناسبة، في آخر محادثة أجريتها معه، قال لي رئيس أساقفتي: «ابقَ كاهن رعية هنا إن امكنك ذلك...». ومن الواضح أنني فهمت عبارة «ابقَ إن امكنك ذلك...» على أنها تعني «إن أردت، يمكنك الذهاب».

ولكن جاء اليوم الذي كان يوم الاثنين الذي سبق عيد الميلاد عام ٢٠٢٢: عندما رأيت رقماً من روما يظهر على هاتفي المحمول، ظننت أنه اتصال إعلاني فأغلقت الهاتف مرتين. وفي المرة الثالثة أجبتُ على الهاتف وكان المتصل هو القاصد الرسولي! كان يبحث عني لي ليبلغني بتعييني أسقفاً لسان مينياتو (San Miniato). لقد كانت قفزة جديدة قبلتها وأنا أعلم جيداً أنها كانت مسؤولية أخافتني بسبب شري وصغارتي الموضوعية. ولكن كيف لي أن أرفض؟ على الرغم من أنني "bischero qualunque" (لمن لا يعرف لغة أهل فلورنسا، تعني «انسان قليل الذكاء»)، إلا أنني وثقت بهذا التكليف. ومن ناحية أخرى، سألني القاصد الرسولي: «ما هو ردك على قداسة البابا؟. هل يمكنني أن

[٦٥] روبي رونزا، «أيها المساء الأحمر»، في كتاب الترانيم والأناشيد، كتاب سبق ذكره، ص ٢٦٦

أقول لا للبابا؟ ووثقت به مجدداً. لكن الترقية في هذه الحالة لم تنحصر ببساطة في هبة سر القربان المقدس، التي هي نعمة من نعم الرب، بل تتسع في الحث – الذي أعيشه كل يوم منذ ذلك الحين – على الوعي الذي لديّ بالمسيح، وفي التماثل معه الذي دعيت إليه دون إمكانية سوء الفهم.

بالمناسبة، استمرت علاقتي مع أمريكا اللاتينية – حتى هذا لم يكن مُتصوراً بالنسبة لي – بعد تعييني أسقفاً. فقد افترضت على الفور بأن رسالتي ومهمتي بأمريكا اللاتينية ستنتهي. ولكن في الحوار الذي كان مخططاً له مسبقا مع دافيدي، والذي اتخذ مضموناً مختلفاً، قال لي بوضوح: «لماذا لا يمكنك الاستمرار؟» فوضعت يدي أمامي وأجبت: «يجب أن أسأل القاصد الرسولي، وأسأل أسقفي ورئيس مجمع الأساقفة الإيطالي، الكاردينال زوبي (Zuppi)». وعلى غير المتوقع، طلب مني الثلاثة – ولم أكن قد كُرِّست أسقفاً بعد – بأن أستمر في ذلك. فقبلت، لأني عشت خبرة أن القيام بتكليف جديد هو من أجل المائة ضعف، والتي تُرجمت عملياً بعد ذلك – بما أنني لم أستطع السفر إلى أمريكا اللاتينية بشكل متكرر – تشكلت قيادة جماعية مكونة من فرناندو (Fernando) من الأرجنتين، وستيفانيا (Stefania) من الإكوادور، وأوليفيريو (Oliverio) من المكسيك، وآخرين. وبدأت طريقة جديدة لقيادة خبرة الحركة، بفضل مسؤوليتهم المتزايدة. وتم التعبير عن هذه القيادة الجماعية على سبيل المثال، في الاجتماع العام الذي عُقد في شهر مارس الماضي في البرازيل مع جميع قادة أمريكا اللاتينية، والذي كان حدثاً مذهلاً. وهذه الخطوة الجميلة لم تحدث بسبب مشروع إيديولوجي، بل من خلال طاعة الأحوال والظروف القائمة. على أية حال، هي خبرة العمر (نعمة عظيمة) التي تؤكد أنه بقول «نعم» ليسوع الذي يملك التاريخ، يتحقق الوعد ويقترب منا المصير أكثر فأكثر.

٤) «إنه وحده هو»

ويتابع الأب چوساني كلامه قائلاً: «رابعاً. يبقى الخطأ كالألم، فهو ليس اعتراضاً [ويستشهد بعبارة ميجيل مانيارا (Miguel Mañara) الشهيرة]: ''إن كل هذا لم يكن موجوداً على الاطلاق: إنه وحده هو''. ففي الحقيقة، الفكر، والقلب... وكل قدرتنا على إقامة العلاقات الانسانية، بشكل لا شعوري تقريباً، تتمحور وتتمركز حول المسيح''. وهذا ليس، كما يقال، عذراً رخيصاً. «إنه وحده هو»[٦٦] يعني أن حتى الخطيئة لم تعد هي اعتراضاً. ففي الواقع، يقول الأب چوساني: «إنه وحده هو». إنه ليس عدم استبعاد لأبي وأمي فقط، بل هو إدخال لهما في تمجيد المسيح؛ فأبي وأمي يدخلان معه في شخصه؛ ويدخل المحبوب في شخصه، وفي قلبه، أي في مركز شخصه»،[٦٧] أي أنه يصبح علامة وطريق. إذ يمكننا أن نجد كل شيء من جديد في وحدانية حضوره الشامل.

ولا يخُفي عنّا الأب چوساني أن هذا الرجاء المُعاش هو السبيل لامتلاك خير صعب المنال. والعبارة هذه «إنه وحده هو» التي قالها ميجيل مانيارا ليست تجاوزاً لشرّنا بدون حُكم عليه، إذ أن هذا الشر يعارض المسيح (بل، تتذكرون ميجيل مانيارا المنغلق على ذاته ندماً على الشرّ الذي فعله، وبوعيه بالشر الذي في داخله، الذي لم يمكنه من أن يشعر بأنه مغفور له؟ إنه يشعر بذلك لأنه لا يستطيع الخروج من ألمه على الشر الذي ارتكبه)، لكن الوعد بأن الحزن والتوبة عن الخطيئة هما

---

[٦٦] راجع أوسكار ڤلاديسلاس ميلوش (Oscar Vladislas Milosz)، «ميجيل مانيارا»، ياكابوك، ميلانو ٢٠١٠، ص ٤٩

[٦٧] الأب لويجي چوساني، «هل يمكن حقاً؟ العيش هكذا؟»، كتاب سبق ذكره، الصفحات ٢٦٦ – ٢٦٧

مقدمة العرفان والامتنان الذي يقودنا بعد ذلك إلى اكتشاف أن المسيح هو كل شيء، يمكننا أن نجد كل شيء من جديد في وحدانية حضوره الشامل.

تظل الخطيئة وتؤلمنا، لكنها تصبح أيضاً صرخة إلى رحمته اللامتناهية.

وهذا الذي يذكّرنا به الأب چوساني، يعني التحلي بالصبر. كما يقول يسوع في إنجيل القديس لوقا: «فَبِاحْتِمَالِكُمْ تَرْبَحُونَ أَنْفُسَكُمْ!».[٦٨] وهكذا يصف الصبر: «الصبر هو القدرة على حمل كل شيء بشجاعة معقولة، وعدم إنكار أي شيء، وعدم نسيان أي شيء، و- انتبهوا! - من عدم رفض أي شيء».[٦٩] وهو الصبر على البقاء في المسيرة التي يعطينا إياها المسيح، وفي الرفقة (الصُحبة) التي تجعله حاضراً معنا: «أُثبتوا فيَّ».[٧٠] فالصبر هو هذا التعلق به، والعودة إليه، بعد الخطأ، وطلب الغفران منه والانطلاق من جديد في اتباعه. فكم هو مهم إذن أن نتعلّق بعلامات حضوره التي تغيّرنا، بهذه الرفقة (الصُحبة) وبالأسرار المقدّسة والاعتراف المتكرّر الذي ننال فيه غفرانه، وبالقداس والإفخارستيا التي يعطينا فيها ذاته.

«أُثبتوا فيّ». ويظل التعب، والخطيئة، والخيانة، لكنها تفقد قدرتها على إضعافنا وإبعادنا عن المسيح. ثم نسقط من جديد، ونبتعد من جديد ونوهم أنفسنا من جديد بأن ما نتخيله، وما نفكر فيه، يحقق رغبة قلبنا. والخطيئة تبقى خطيئة، ولكن لننظر إليه من جديد، ونصرخ إليه، ونعود إليه. إن للرجاء سرًّا، وهو سرّ الآب، سرّ رحمته، وسرّ غفرانه الذي يجعلنا نُولد من جديد. اسمعوا ما أجمل هذه الكلمات التي يقولها شارل بيجي (Charles Péguy): «يتسائل المرء قائلاً: ولكن كيف يحدث / أن يتدفق ينبوع الرجاء هذا إلى الأبد، / أن يتدفق إلى الأبد، وأن يفيض إلى الأبد. [...] / لا بدّ أن هناك سرّ ما في داخله / سرّ ما. [...] / ''أيها الناس الطيبون، يقول الله، لا يحتاج الأمر إلى الكثير''. / إن سِرُّهُ لَيْسَ مُعَقَّداً / وَسِرُّهُ لَيْسَ بِصَعْبٍ. [...] / وَلَكِنَّهَ بِمَاءٍ كَدِرٍ يَصْنَعُ بِحَقٍّ يَنَابِيعَهَ مِنْ مَاءٍ صَافٍ / وَلِذَلِكَ لاَ يَنْقُصُ أَبَداً / / وَلِذَلِكَ أَيْضاً هِوَ الرَّجَاءُ [...] / / مَاءٌ جَدِيدٌ بِمَاءٍ مُسْتَعْمَلٍ / / مِنْ يَنَابِيعَ بِمَاءٍ قَدِيمٍ / / وَمِنْ نُفُوسٍ عَذْبَةٍ بِنُفُوسٍ شَائِخَةٍ [...] / / كيف يستطيع ذلك، كيف يفعل ذلك، / / هذا يا أولادي هو سرّي. / / لأني أنا أبوه».[٧١]

ويعلق الأب چوساني على هذا النص كما يلي: «إن مواصلة الرجاء بعد خطأ من أخطائنا هو عمل عظيم لدرجة أن الشاعر بيجي يعرّفه بأنه ''سرّ الرجاء''، لأن مغفرة الشر هو بالضبط سرّ. ''إذ أن سرّ الرجاء الذي يصنع من الماء الرديء ماءً نقيًّا ويجعل من النفوس الشائخة نفوساً جديدة'': إنها الولادة من جديد. والمعمودية هي أساس هذه الولادة الجديدة، أساس يعمل لمائة عام إذا عاش الانسان مائة سنة، و١٠٣ سنة إذا عاش ١٠٣ سنة، ويعمل ١٢٩٩ مرة إذا كان قد ارتكب ١٢٩٩ خطيئة، وتعمل ١٠,٠٠٣ مرة إذا كان قد ارتكب ١٠,٠٠٣ خطيئة».[٧٢] إن رحمته هي النعمة العظيمة.

---

[٦٨] راجع لو٢١: ١٩

[٦٩] الأب لويجي چوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، كتاب سبق ذكره، ص ٢٠٤

[٧٠] يو١٥: ٤

[٧١] شارل بيجي، «الأسرار»، كتاب سبق ذكره، الصفحات ٢٥٤ - ٢٥٥

[٧٢] الأب لويجي چوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، كتاب سبق ذكره، ص ٢٠٧

٤) «بيت الرجاء»

لكن هذه الرحمة، وهذا الماء النقي، وهذه الولادة الجديدة للرجاء لها مكان، بيت، رفقة حية يزدهر فيه، كما يغني كلاوديو كييفو (Claudio Chieffo) في أغنية الرُّمان.[٧٣]

يصف الأب چوساني الأغنية بهذه الكلمات: «خامساً. إن مكان هذا الحدث هو شركة كنسيّة، وكنسيّة تعني أناساً يجتمعون معاً من أجل هذا: من أجل المسيح. وشركتنا ليست سوى صداقة، وشركتنا ليست سوى صداقة، وبأمنيتنا في أن نصبح أصدقاء أكثر فأكثر، دعونا نذهب لنأكل طعامنا!».[٧٤] وهكذا اختتم ملخص كتاب «هل يمكن (حقاً؟!) العيش هكذا؟!» ولكن لدينا شيء آخر نقوله قبل أن نذهب لتناول الطعام.

الكنيسة هي هذا المكان، البيت الذي يتجدد فيه الرجاء بلا توقف، المكان الذي صنعه يسوع ليرفعنا باستمرار في المسيرة الشاقة نحو المصير، والمكان الذي ينظر إلينا فيه بنظرة الله التي تتأملنا بإعجاب حتى قبل وجودنا. إنها المكان الذي يحبنا فيه بضعفنا ويساعدنا على النهوض والوقوف على أرجلنا بنعمة الأسرار المقدسة وبالرفقة اليومية لـ «سحابة الشهود»[٧٥] التي يحيطنا بها. ففي الكنيسة، وفي رفقتنا التي شكَّلها بنعمته من إنسانيتنا المسكينة والخاطئة، هناك حضور الله الذي يخلّصنا ويفدينا من الشر والموت.

لهذا السبب يجب أن ننظر إلى صداقتنا كشيء مقدس يريد المسيح أن يستخدمه لإظهار وجهه لكل الناس. وهكذا يراها قداسة البابا، الذي كتب لنا في رسالته المؤرخة في ٣٠ يناير الماضي: «إنني أشعر بالامتنان للرب على الحيوية التي تظهرها الحركة باستمرار في عملها التبشيري والخيري تجاه رجال ونساء اليوم». كما أخبرنا بأن هذه الحيوية تحتاج إلى وحدتنا، التي أسماها «حارسة خصوبة الكاريزما».[٧٦] الوحدة هي هبة لأن الله جعلنا شيئاً واحداً. لقد جعلنا «واحداً». وفي كتاب "لماذا الكنيسة؟"[٧٧] يتناول الأب چوساني ثلاثة نصوص للقديس بولس إسمحوا لى الاقتباس منها: «فَإِنَّكُمْ جَمِيعاً أَبْنَاءُ اللهِ بِالإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ. لأَنَّكُمْ، جَمِيعَ الَّذِينَ تَعَمَّدْتُمْ فِي الْمَسِيحِ، قَدْ لَبِسْتُمُ الْمَسِيحَ. لاَ فَرْقَ بَعْدَ الآنَ بَيْنَ يَهُودِيٍّ وَيُونَانِيٍّ، أَوْ عَبْدٍ وَحُرٍّ، أَوْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، لأَنَّكُمْ جَمِيعاً وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. فَإِذَا كُنْتُمْ لِلْمَسِيحِ، فَأَنْتُمْ إِذَنْ نَسْلُ إِبْرَاهِيمَ وَحَسَبَ الْوَعْدِ وَارِثُونَ».[٧٨] كم من مرة أكد فيها الأب چوساني على هذا بالتحديد: «كلكم واحد»، أي شيء واحد، وشخص واحد، «في المسيح يسوع». «وَفِيهِ لاَ فَرْقَ بَيْنَ يُونَانِيٍّ وَيَهُودِيٍّ، أَوْ مَخْتُونٍ وَغَيْرِ مَخْتُونٍ، أَوْ مُتَحَضِّرٍ وَمُتَخَلِّفٍ، أَوْ عَبْدٍ وَحُرٍّ، بَلِ الْمَسِيحُ هُوَ الْكُلُّ وَفِي الْكُلِّ».[٧٩] «فَإِنَّنَا، بِالرُّوحِ الْوَاحِدِ، قَدْ تَعَمَّدْنَا جَمِيعاً لِنَصِيرَ جَسَداً وَاحِداً، سَوَاءٌ كُنَّا يَهُوداً أَمْ يُونَانِيِّينَ، عَبِيداً أَمْ أَحْرَاراً، وَقَدْ سُقِينَا جَمِيعاً الرُّوحَ الْوَاحِدَ».[٨٠]

---

[٧٣] كلاوديو كييفو، «أغنية الرمان»، في كتاب باولا سكاليوني، «صوتي وكلماتك»، أريس، ميلانو ٢٠٠٦، ص ٢٦٨

[٧٤] الأب لويجي چوساني، «هل يمكن حقاً؟ العيش هكذا؟»، كتاب سبق ذكره، ص ٢٦٧

[٧٥] الأب ماورو ليبوري، «العيون مثبتة على يسوع، أصل الايمان وإكتماله»، ملحق مجلة «آثار» عدد ٥/ ٢٠٢٣، الصفحات ٢٧ – ٢٨

[٧٦] البابا فرنسيس، «رسالة إلى دافيدي بروسبيري»، ٣٠ يناير ٢٠٢٤، مجلة «آثار» عدد ٣ / ٢٠٢٤، ص ١

[٧٧] الأب لويجي چوساني، «لماذا الكنيسة؟»، كتاب سبق ذكره، الصفحات ٩٨ – ٩٩

[٧٨] غلا ٣: ٢٦ – ٢٩

[٧٩] كو ٣: ١١

[٨٠] ١ كور ١٢: ١٣

إن وحدتنا داخل الوحدة الكبرى للكنيسة، هي الطريق، هي مثل مجرى النهر الذي يقود إلى المصير، إلى المصب، أي إلى المسيح الذي يحقق الانتظار والرجاء. إنه مجرى الحياة الجديدة الذي وصل إلينا من خلال الأب چوساني ويولدنا باستمرار، بنعمة الرب الطاهرة، هو هذا المكان الملموس، بيت الرجاء هذا. وفي الكنيسة، وداخل الحركة، هناك البيوت، والمنازل: مثل بيوت ''ذاكري الرب'' (Memores Domini)، وبيوت عائلاتنا، البيوت التي هي مجموعات أخويتنا، المدعوة لتكون انعكاساً للكنيسة الواحدة، بالمعنى الأسراري: مثل كل قربان مكَّرس يحمل يسوع نفسه، هكذا نحن معاً لندرك ونتعرف على حضوره بيننا ولنساعد بعضنا البعض على اتباعه، لنظل ملتصقين بالينبوع، لنسير في مجرى هذه الوحدة المعطاة لنا والتي نسعى ونطلبها أيضاً.

وفي كتاب «لماذا الكنيسة؟»، يتحدث الأب چوساني هكذا عن العلاقة بين الكنيسة الجامعة والجماعة الملموسة التي يلتقي فيها المرء بالإيمان ويعيشه: «إن الطريق لمعرفة وتعلم ماهية الكنيسة الجامعة هو [...] أن نذهب إلى عمق الخبرة الكنسية التي إلتقى بها كل واحد فينا، شريطة أن تكون لهذه الخبرة خصائص كنسية حقيقية. لهذا السبب فإن الطاعة للكنيسة الجامعة، والاعتماد عليها، والتعبير عن الذات بها، والتعرف على الذات بالعوامل الأخرى الموجودة في نطاق الحياة المسيحية، هي جوانب تحدد صحة ومصداقية إلتقاء تابيعها . وإلا، فإن السبب الذي يجعلنا نعطي قيمة للقائنا الجماعي ليس سرّ يسوع المسيح الذي يتمّ إيصاله إلى التاريخ والعالم، بل هو شيء يختزل ويقلص نطاق عملها. ومن ناحية أخرى، يمكن للكنيسة الجامعة تاريخياً أن تظهر فقط ظهوراً مؤقتاً، وفي مكان معين، وفي محيط معين. وكيف يمكن إيصال يسوع المسيح في محيط ما إن لم يكن من خلال مجموعة من المسيحيين الواعين بانتماءهم الأصيل إلى الكنيسة نفسها؟ وبدونهم تكون الكنيسة الجامعة في ذلك المحيط كما لو أنها غير موجودة: فالكنيسة المحلية لها قيمة لأنها ظهور وحضور للكنيسة الجامعة، والتي بدونها لن تعيش واقعيتها التاريخية». [٨١]

في هذا المفصل، ما يسود كموقف ملموس في كل عضو فيها هو حب الوحدة، وهذا يتغذى ويتقوى من خلال الاتباع: طاعة الآباء الرعاة، كما يقول قداسة البابا، والتعاون «باستعداد وإخلاص مع المدعوين لقيادة الحركة. وهذه الطاعة وحدها، التي يُعاد اكتشافها وتغذيتها باستمرار، هي وحدها القادرة على أن تضمن بينكم خبرة أغنى من أي وقت مضى للحياة المسيحية وتجديد حضوركم في العالم، من أجل خير الكنيسة كلها». [٨٢] ويحكي الأب چوساني أن الحركة بدأت في اللحظة التي انطلقت فيها الوحدة مع أولئك الصبية الذين التقى بهم في طريق الخروج من المدرسة في شارع لامارمورا، وأنه انطلق ليتبع: ليس هم، بل الوحدة معهم، ذلك الذي تجلى فيها. «لقد كانت الحركة وكانت مصدر كل شيء، لأنها كانت تتطلب انتمائي. أي، في بدء الحركة، كان أول من لعب دوراً هو أنا. لذلك عندما واجهت الأولاد الثلاثة الأوائل في الشارع بعد الساعة الأولى من المدرسة، وبعد اليوم الأول من التدريس في مدرسة برشيه (Berchet) الثانوية، وعدت إلى البيت وأنا قَلِقٌ على نفسي: بأي مسؤولية وبأي وعي ذاتي وبأي تلميحات مني كان علي أن أستجيب وأتوافق مع ما بدأت أدركه من خلال الحديث معهم! لقد فهمت أنه لا يمكنني أن أراهم مرة أخرى في اليوم التالي دون أن أتخذ موقفاً في مواجهة هذا التوسع في

---

[٨١] الأب لويجي چوساني، «لماذا الكنيسة؟»، كتاب سبق ذكره، ص ١١٢

[٨٢] البابا فرنسيس، «خطاب إلى دافيدي بروسبيري»، سبق الاستشهاد به، ص ١

السؤال: كنت أنتمي إلى هؤلاء الفتية الثلاثة، لا لم أنتمي إليهم بل كنت أنتمي إلى الوحدة معهم. فقد حدث شيء ما». [٨٣]

إن الاتباع، في استجداء المسيح – الاتباع هو من المستجدين، كما قلنا في الليلة الماضية، أي من الذين ليس لديهم ما يدَّعونه، ولا ما يدافعون عنه – إنه مسيرة. وهذا ما يجعلنا ممتلئين بتلك الجرأة الساذجة التي تجعلنا شهوداً؛ وتجعلنا أقوياء في الشهادة وفي الوقت عينه بدون ادعاء، وقادرين على قبول أي تلميح للحقيقة في كل شخص نلتقيه، حتى يكون يسوع، معروفاً ومحبوباً ويستطيع خلاصنا وخلاص العالم. إذن نحن مدعوون، كما يقول بيجي مرة أخرى، إلى «أن نغذي [...] / بلحمنا ودمنا، / وبقلبنا، / الكلمات الجسدية، / والكلمات الأبدية، والزمنية، والجسدية المنطوقة [...] لنحفظها حية في الزمن / تلك الكلمات المنطوقة تعيش في الزمن». [٨٤]

«أنتِ ينبوع حي من الرجاء»: مريم والكنيسة

أود أن أختم بالإصرار على التشبيه – الذي يؤكد عليه التقليد كله – بين الكنيسة (وشركتنا) والسيدة العذراء. أفعل ذلك أولاً وقبل كل شيء بما يؤكده بيجي عن مريم العذراء. في مقابلة حررها صديقنا رافاييل جيريز (Rafael Gerez)، في مجلة "لقاء مدريد" (Encuentro Madrid) لعام ٢٠٢١، تعطينا فابريس هجاج (Fabrice Hadjadj) مفتاحاً تفسيرياً: «من وجهة نظر لاهوتية، الرجاء هو بالتأكيد الفضيلة التي تولد عندما يتجلى الإيمان والمحبة، وعندما تتجلى السماء والأرض، الخاطئ والقديس، الجسد والطهارة. لهذا السبب، وراء كل تأمل من تأملاته حول الرجاء، ينسج لنا بيجي تأملاً مدهشاً حول مريم العذراء، الجسدية والطاهرة. وهنا في الواقع تكمن الصعوبة. فمن السهل جداً أن نكون في السماء فقط أو على الأرض فقط. ولكن الأمر الصعب هو أن نكون في القطبين معاً، وأن نتجه إلى السماء دون أن نهرب من الأرض، وإلاّ وجدنا أنفسنا مع دين يصبح أفيون الشعوب. ولكن لا يجب أن يكون وحده على الأرض بحيث نأتي، مثلاً، باسم تحقيق عدالة إنسانية بحتة، لنحطم كل شيء، ونمزق كل شيء، الحنطة الجيدة والزوان، بل يجب أن نترك مجالاً للدينونة الأخيرة». [٨٥]

لكن إليكم ما كتبه بيجي: «كل المخلوقات ينقصها شيء ما. [...] / تلك الجسدية ينقصها بالتحديد أن تكون نقية. [...] / لكن تلك النقية ينقصها بالتحديد أن تكون جسدية. [...] / /وهي على العكس من ذلك لا ينقصها شيء. / إلا أن تكون الله ذاته حقاً. [...] / (ولكن هذا في ترتيب الأشياء.) / / ولكونها جسدية فهي طاهرة. / ولكن، لكونها طاهرة، فهي جسدية أيضاً». [٨٦]

ويرى بيجي Péguy في هذه الوحدة المفارقة دور مريم كـ «حصن رجائنا». ولكن إذا كان التشبيه بين مريم والكنيسة يصلح، فإن التعايش المتناقض بين الطهارة والجسدية يتحقق أيضاً في الكنيسة وفي شركتنا. مثل فخار النحات لوكا ديلا روبيا (Luca della Robbia) في نحته لتمثال زيارة العذراء مريم لقريبتها أليصابات، الذي صممه لوكا ديلا روبيا عام ١٤٤٥ وهو أول تمثال معروف من الفخار الزجاجي

---

[٨٣] الأب لويجي چوساني، «الانتماء إلى المقر كحركة نحو وحدة الحياة»، مجلة «آثار»، عدد ١ / ١٩٩٧، ص ٣، يتعلق بنص مثير للاهتمام للغاية يروي فيه الأب چوساني نشأة الحركة في داخله.

[٨٤] شارل بيجي، «الأسرار»، كتاب سبق الاستشهاد به، ص ٢١١

[٨٥] فابريس هجاج. حياة مفتاح الرجاء. حوار مع رافاييل جيريز، إعداد كارمن چوساني، بوكمان، مدريد ٢٠٢١، ص٦٥ (ترجمتنا)

[٨٦] شارل بيجي، «الأسرار»، كتاب سبق الاستشهاد به، ص ٢٠٠

بنقوش كاملة. والمرأة العجوز ترمي بنفسها على ركبتي مريم، وهي شابة صغيرة، تكاد تكون طفلة، لأنها ممتلئة بالنعمة، النعمة التي تملأها بالفعل؛ ويظهر حضور المسيح في هذه الشابة الطفولية الناضجة، المليئة بالوعي بالسر وكلها جمال: إنها طفلة الرجاء. مملوءة بالنعمة: إنها بالتحديد صورة لما هي عليه الكنيسة، لما نحن عليه، لحركتنا. هكذا صلى الأب چوساني، في الرسالة القصيرة التي لا تنسى (وهي واحدة من رسائله الأخيرة) بمناسبة الحج إلى لوريتو (Loreto) في الذكرى الخمسين لميلاد الحركة: «أيتها السيدة العذراء، أنتِ حصن رجائنا!». هذه هي العبارة الأكثر أهمية بالنسبة لتاريخ الكنيسة بأكمله؛ فالمسيحية كلها مغلفة فيها. «أنتِ حصن رجائنا» تشير إلى ازدهار الأشياء. فمن دون السيدة العذراء لا يمكننا أن نكون واثقين من المستقبل، لأن أمان المستقبل يأتينا من المسيح: سر الله الذي صار إنساناً. [...] وهكذا، بالنسبة لنا، تتوافق الصلاة للمسيح بشكل متزايد مع الصلاة للسيدة العذراء». [٨٧]

أختم بالتحية التي وجهها الأب چوساني إلى المشاركين في لقاء ريميني عام ٢٠٠٢ – في تلك السنوات الأخيرة من حياته، عندما كان يتحدث في كل مناسبة عن مريم العذراء[٨٨]: «أنتِ ينبوع حي من الرجاء: الرجاء هو المحطة الوحيدة التي يتوقف فيها للحظة قطار الأبدية العظيم. أنتِ من الرجاء ينبوعٌ حيّ. فبدون الرجاء، في الواقع، لا توجد إمكانية للحياة. [...] فليكن هذا الينبوع الحي من الرجاء كل صباح – كل صباح – أكثر إحساساً فورياً بالحياة وأكثرها صلابةً. ولنكن أصدقاء من أجل هذا. ولنبقى أصدقاء؛ كيف، نبقى أصدقاء؟ [...] أنتِ ينبوعٌ حيٌّ من الرجاء. أتمنى لكم أن نكون رفاقاً، أن نشعر بأننا أصدقاء من أعماق قلوبنا حتى لو لم نعرف بعضنا البعض بشكل مباشر. نحن نعرف بعضنا البعض بشكل غير مباشر، بل أكثر مما لو كان ذلك بشكل مباشر. أيتها الينبوع الحي، أيتها الأم العذراء، يا أمنا العذراء، يا أم المشورة الأبدية. أمر مثير للإعجاب حقاً أن نقول هذا بعد سبعين عاماً!. لا يوجد في الدنيا شيء مؤكداً إلا في هذا. إلى اللقاء ومعذرةً على جسارتي». [٨٩]

ترنيمة يا ملكة السماء
(Regina Caeli)

---

[٨٧] الأب لويجي چوساني، «مسيرة الحج إلى لوريتو، ١٦ أكتوبر ٢٠٠٤. في الذكرى الخمسين لميلاد حركة الشراكة والتحرر»، مجلة «آثار» عدد ١٠ / ٢٠٠٤

[٨٨] لنتذكر كيف أنه في طبعة ٢٠٠٣ الجديدة من كتاب «لماذا الكنيسة؟» أراد أن يضيف فصلاً ختاميًا عن مريم العذراء، أصل الكنيسة ومثالها، حيث نقرأ من بين أشياء أخرى: «إن العذراء مريم تُدخِلنا في السرّ، أي في معنى أيامنا، وفي معنى الزمن الذي يجري؛ نظرها يرشدنا في مسيرتنا، ومثالها يعلّمنا، وشخصها يشكل تصميم هدفنا. أمٌّ سخية، فهي تلد لنا حضور المسيح العظيم. ونحن نتعزّى، وننعم بالغفران، ونتعزّى، ونتغذّى، ونغتني ونبتهج بذلك الحضور الذي يولد من جسد السيدة العذراء. لهذا السبب نطلب منها كل يوم أن تجعلنا شركاء في حريتها، وفي حضورها، في استعدادها وفي طريقها» (الأب لويجي چوساني، لماذا الكنيسة، مرجع سبق ذكره، ص ٣٠٩)

[٨٩] الأب لويجي چوساني، «ينبوع حي»، مجلة «آثار»، عدد ٨ / ٢٠٠٢، الصفحات ٢-٣

بعد ظهر السبت ١٣ إبريل ٢٠٢٤

موسيقى ولفجانج أماديوس موتسارت
كونشرتو للبيانو بمقام دي مينور، ك ٤٩١ بيانو، بعزف كلارا هاسكيل
أوركسترا كونسير لامورو – إيجور ماركيفيتش ''الروح اللطيف'' رقم ٣٢،
(فيليبس) يونيفرسال

التأمل الثاني
چوڤاني باكّوزي

إبتهاج الفقير

وبعد ظهر اليوم أيضاً، نتناول من جديد كتاب «إحمل الرجاء»، وهو كتاب الأب چوساني الذي استشهدنا به عدة مرات هذا الصباح. الفقرة الختامية له تحمل عنوان «السامي في الحياة اليومية».

«هناك عاملان محددان من الخبرة التي يمر بها كل من يشارك في جماعة الكنيسة [أي يشارك في المكان الذي يكون فيه المسيح حاضراً، فيجعل رجاؤنا ممكناً]، ويعيش الطقوس، ويختبر: الأمن والاجتهاد. أمن عميق التواضع، لأن أساسه ليس فيَّ، بل في الواحد القادر على كل شيء. ''بالرجاء حيثُ لا رجاءَ. فالرَّجَاءُ لاَ يُخَيِّبُنَا'' [In spem contra spem. Spes autem non confundit]. ولا يقتصر هذا الاجتهاد على أوقات أو مشاريع محددة، بل يتم استثماره في كل لحظة، مما يجعل كل عمل صغير عملاً نبيلاً. إجتهاد يرتقي بالجوانب العادية للحياة الأكثر شقاءً». وهنا لدينا عبارة رائعة تقول: «ألا يمكن أن يكون المثل الأعلى عادياً مثل الخمر والماء؟».[٩٠]

يا له من مستقبل يثير الحماس! فهذا يعود بنا إلى كل ما تأملنا فيه هذا الصباح، إلى اليقين الذي يمتد إلى المستقبل بسبب هذه الألفة مع المثل الأعلى، مع السر (الله) الذي صار حاضراً ويستخدم الأشياء العادية ويجعلها رمزاً للمثل الأعلى ذاته، مما يعطيها قيمة مقدسة. ويختتم الأب چوساني مقاله بالتأكيد على أهمية التربية على الرجاء: «ففي هذه الأرض نحن لا ننتمي للمسيح إلا بالرجاء. لذلك بالتربية على الرجاء ندخل في عمق خبرة الفداء».[٩١] ولكن كيف نتربى عليه؟

وقبل الانتقال إلى الإجابة، أود أن أفتح قوساً صغيراً. فبعد أن ذكرنا موضوع هذا المساء، ذكّرني أحدهم كيف يدعونا الأب چوساني في كتابه «جاذبية يسوع» إلى تذكر أمرين.[٩٢] من ناحية، الدهشة، من جاذبية الواقع، والأشياء، التي تحرك رغبتنا. ومن ناحية أخرى، التضحية اللازمة لتربية أنفسنا على الرجاء. التضحية بالمعنى الذي قلناه هذا الصباح، لجعل كل شيء مقدس ومعترف به كرمز لما يجذب أكثر من الشيء نفسه. وقلت هذا الصباح، فكّروا في النظرة التي يمكن أن لدى كل واحد يرى كل الأشياء، وكل العلاقات، وكل الناس مقدسين، ونعترف بهم كمكان يُظهِرُ فيه السر ذاته.

---

[٩٠] الأب لويجي چوساني، «إحمل الرجاء»، كتاب سبق الاستشهاد به، الصفحات ١٦١ – ١٦٢
[٩١] نفس الكتاب المذكور عاليه، ص ١٦٢
[٩٢] راجع الأب لويجي چوساني، «جاذبية يسوع»، بور، ميلانو ١٩٩٩، الصفحات ٣٤ – ٣٧

إذن كيف يمكن لكل واحد منا أن يتعلّم الرجاء؟ لنلقي نظرة مجدّدًا على كتاب «هل يمكن العيش هكذا؟» لنكتشف كيف يمكن لخبرة الفداء أن تصبح وعيًّا آنياً ومألوفًا كالخبز والنبيذ.

فالشعور الذي يُولد في الإنسان الذي يعيش في الرجاء هو الثقة، ولكن – كما يؤكد الأب چوساني – هناك نقطة عبور، أي عقبة يجب تخطّيها لكي نعيش في هذه الألفة الحاضرة المليئة بالثقة في المستقبل. «إن العقبة التي يمكن أن تنشأ من الرجاء إلى الثقة هي أن ننسب اليقين في المستقبل إلى بعض الأشياء التي نملكها بالفعل: على سبيل المثال المال، وعلى سبيل المثال شعر الرأس، وعلى سبيل المثال النظارات الذهبية، وعلى سبيل المثال الصداقات، وعلى سبيل المثال حماية الكبار، وعلى سبيل المثال معرفة كيفية الغناء، وبناء العضلات... بحسب جميع النسخ وجميع الأرقام. ما الذي يمكن أن يقف في طريق الثقة [...]؟ شيء نملكه ونضع فيه ثقتنا؛ شيء نملكه بالفعل. ولكن، إذن، الأمر يتعلق بعدم الامتلاك، على الأقل بهذه الطريقة سيكون الأمر متعلقاً بعدم الامتلاك، والفضيلة التي تتعامل مع عدم الامتلاك هي فضيلة الفقر». [٩٣]

هل من الممكن للأب چوساني، كي يعالج موضوع أساسي ومثير للجدل مثل الفقر، أن يستشهد بأمثلة كعائق للثقة المُعاشة تبدو صغيرة جداً، وشبه تافهة، قد نقول؟ هل يمكن أن تقف (هذه الأمثلة البسيطة) عائقاً أمام الرجاء والشعور الحيوي النابع منه، الذي هو الثقة، مثل التعلق بالشعر، وبالنظارات الذهبية، وباتقان الغناء، وبتربية العضلات؟ ومع ذلك، هذه هي الأمثلة التي يقدمها. إنها السلع، التي تبدو تافهة، التي تتكون منها حياتنا اليومية. ويكاد يخيفنا التفكير في عدد الأشياء التي يمكننا التعلق بها، وكيف يمكننا أن نضع أماننا في امتلاك بعض السلع الموجودة للتطلع إلى المستقبل، وليس في اليقين به هو الحاضر بيننا. إن وضع يقيننا في ملكية «معينة» في الوقت الحاضر هو أمر يعارض الرجاء: «مُعَيَّن يعني بأننا حددناه، وتنبأنا به، واخترناه بناءً على ما يناسبنا وعلى ما هو الأكثر إقناعاً وعلى ما يُزيد من ثرواتنا وبالتالي ننعم بالأمان الاقتصادي». [٩٤] أما الرجاء كيقين حول المستقبل يأتي من امتلاك المسيح، الآن. والإيمان يجعلني أتعرف على المسيح الحاضر الآن، ولهذا السبب أنا على يقين بالمستقبل. لكن، وضع اليقين في امتلاك معين، وفي امتلاك شيء معين، فهذا هو العائق. فنحن نملك هذا أو ذاك وبالتالي نحن في يقين. وبنفس المنطق، نريد للمستقبل هذا أو ذاك فنختزل الرجاء في كل هذا. وهنا نحن أمام شيء لا يوجد فيه «هذا وذاك» (كأنني أقول: «يمكنني الرجاء في المسيح وفي الرفاهية الاقتصادية في الآن ذاته». و«يمكنني الرجاء في المسيح وفي النجاح أيضاً»)، ولكن الأمر هو «إما هذا أو ذاك». ولنتذكر جيداً يسوع عندما يتحدث عن الاختيار بين خدمة الله أو المال. [٩٥] كما يضيف الأب چوساني بأن أي شيء غير الإيمان تضع فيه ثقتك، لا يدوم، ويسلبه الزمن.

أود أن أذكر ملاحظة، وهي تشير إلى كيفية اختزال انتمائنا للكنيسة وللكاريزما بهذه الطريقة التعسفية. إذ يمكننا في الواقع أن نضع يقيننا بالمستقبل بصورة عن رفقتنا التي نحددها نحن، وبتفسيرنا الخاص لما التقينا به، وليس بالحضور الموضوعي للمسيح، في التاريخ الملموس للموهبة (الكاريزما) كما يصل إلينا الآن، وبالطريق الحقيقي الذي تؤكد لنا الكنيسة أنه الحضور الأكيد للمسيح. لذلك

---

[٩٣] الأب لويجي چوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، كتاب سبق الاستشهاد به، الصفحات ٢٥٥ – ٢٥٦

[٩٤] نفس الكتاب المذكور عاليه، ص ٢٥٧

[٩٥] راجع لو ١٦: ١٣

يمكننا أيضاً أن نحكم على هذا التاريخ بناءًا على «شعر الرأس، والنظارات الذهبية، ومعرفة كيفية الغناء» أو حقيقة الشعور بأشياء معينة أو عدم الشعور بها، الشعور بالتعاطف الغريزي أو عدم الشعور به. فبدلاً من أن نمتلك شيئاً يُعطَى لنا باستمرار، ونتلقاه، وهو ليس تحت تصرفنا، نضع يقيننا في «شيء معين» نمسكه ونسيطر عليه، كما نريده نحن. وشرط الهروب من ابتزاز هذا الاختزال للإيمان والرجاء هو الفقر.

وإنطلاقاً من هذا النهج من الخارج، ومن النظر إلى الفقر كشرط حتى لا نهبط إلى الحد الذي نقيس به أنفسنا بمقياس الأشياء التي نعتمد عليها، يمضي الأب چوساني في تحديد أساس قيمة الفقر قائلاً: «إذن، على ماذا تتأسس قيمة الفقر؟ تتأسس على اليقين بأن الله هو الذي يقوم بالعمل ويتممه؛ إذ يحقق المسيح الرغبة التي تلدك: «فمن بدأ فيكم هذا العمل الصالح سيكمله غداً في يوم المسيح».[٩٦]

اليقين بأنه سَيَفِي بالوعد سيجعلنا أحراراً من الأشياء: سيُقال على الفور أن ثمرة الفقر المباشرة: هي الحرية. «أنت لست عبداً لأي شيء، ولست مرتبط بأي شيء، ولست مقيداً بأي شيء [...]: أنت حر. [...] أنت لست عبداً لما تستخدمه، لأنك عبد فقط للذي يمنحك اليقين بسعادتك».[٩٧]

ذكر داڤيدي الليلة الماضية حادثة الشاب الغني، أليس كذلك ؟ في مأساة إضطراره ليقرر ما كان قلبه مرتبطاً به حقاً، نجد أنفسنا إلى حد ما في نفس الوضع أيضاً. ومع ذلك، فإن الاعتراف بحد ذاته بأن المسيح وحده هو منبع هذا اليقين يحررنا. ولكن كم يكلفنا هذا الفقر! وكم نسعى دائماً للتخلص منه، ونجعله نسبياً، بالسماح لتعلقنا بالأشياء باستعبادنا، وهكذا نفقد الأفضل كما يحدث دائماً عندما ندع مسافة، حتى الحد الأدنى منها، ولو ملليمتر واحد، بيننا وبين ما يُقَدَّم لنا من مقترحات.

في كتاب شهر فبراير الماضي الذي اقترحته الحركة، وهو كتاب السيرة الذاتية الأصلية للقديس فرنسيس الأسيزي الذي قام بكتابته المؤلف والفيلسوف الانجليزي الشهير جيلبرت كيث تشيسترتون (Gilbert Keith CHESTERTON)،[٩٨] يصف فقر القديس فرنسيس بتعبيرات مُفارِقة – كما يفعل دائماً – ولكنها تعبيرات فعالة وقوية للغاية.

فهو يقدّم الوصف بالتعريف الذي قاله القديس فرنسيس عن نفسه بأنه «بهلوان الله». ويقول تشيسترتون أن قلب المنظور، الذي بدأ فرنسيس ينظر به إلى العالم في مرحلة معينة، يمكن مقارنته بالطريقة التي يرى بها البهلوان الذي يمشي على يديه. ويواصل تشيسترتون قائلاً: «إن كل مشهد، وكذلك كل منظر طبيعي يمكننا رؤيته بشكل أوضح وبطريقة جديدة إذا ما لاحظناه في وضع مقلوب». [٩٩] فالتحول الجذري والغامض الذي حدث في حياة فرنسيس باعتناقه الفقر كعروسه يمكن أن يوصف بالفعل بهذه الصورة للعالم الذي يُرى بالمقلوب. دعونا نرى ماذا يعني، لأن صورة البهلوان ربما تتركنا في حيرة إلى حد ما: «لو أن إنساناً في الواقع رأى العالم مقلوباً، بكل أشجاره وأبراجه، كما لو كانت صورته منعكسة على سطح بركة ماء، فقد يكون أحد الآثار فيه هو التأكيد على

---

[٩٦] الأب لويجي چوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، كتاب سبق الاستشهاد به، الصفحة ٢٥٨

[٩٧] الكتاب المذكور أعلاه والذي سبق الاستشهاد به، ص ٢٥٩

[٩٨] ج. ك. تشيسترتون، «فرنسيس الأسيزي. في رواية موجهة للنساء والرجال قليلي الايمان المعجبين به»، منشورات تي إس، ميلانو ٢٠٢٣

[٩٩] نفس الكتاب المذكور عاليه، ص ٨٨

فكرة ''الاعتماد والتبعية''. إذ هناك في الواقع، كلمة مشتقة من أصل لاتيني تؤكد على أن كلمة ''تابع'' تعني ''مُعلَّق''. [...] والمقصود هو هذا: في حين أن عظمة الأسوار العظيمة، والأساسات الضخمة للأبراج، والقلعة العالية قد تجعل المدينة أكثر أمانًا وصلابة بالنسبة للعين العادية، إلا أنه في اللحظة التي تنقلب فيها الصورة رأساً على عقب، تبدو المدينة مجردة من السلاح وبلا قدرة للدفاع عن نفسها. [...] فبدلاً من أن يفتخر بصمود مدينته، كان سيشكر الله القدير لأنه لم يتركها تسقط، وكان سيشكر الله لأنه لم يرفض الكون كله مثل بلورة كبيرة على وشك أن تتحطم إلى ألف نجم متساقط. عند هذه النقطة، يضيف تشيسترتون شيئاً مؤثراً: «ربما رأى القديس بطرس العالم هكذا عندما صُلب رأساً على عقب».[١٠٠]

أن نرى كل شيء معلقاً على محبة الذي يعطينا إياه، الذي يعطينا إياه الآن. إذن الفقر هو هذا الوقوف أمام كل شيء، وتقبّله بامتنان، وبدون ادعاء. إذ كنا نقول هذا الصباح أنه لا قيمة لشيء، إن لم يكن في كونه ؤئهبة وعلامة للواحد الضروري، ألا وهو المسيح. إن صورة تشيسترتون مدهشة ورائعة: من يدرك أن كل الواقع – بما في ذلك كل ما يتعلق بنا – هو في هذه اللحظة يخرج من الله الذي يَلِد هذا الواقع الذي يتعلق به. وفي الصفحات التالية، يطور لنا تشيسترتون هذه التأملات، ويوضح أن نظرة «المتصوف» ترى الأشياء في خروجها من الله، بينما الله هو الذي يقودها إلى الوجود. فهو يقول مثلاً: "إن من رأى العالم كله معلقاً في الهواء بنعمة الله، فقد رأى الحقيقة؛ ويمكننا أن نقول الحقيقة المجردة. ومن رأى مدينته مقلوبة رأساً على عقب، فقد رآها في الحقيقة بجانبها الصحيح».[١٠١]

هكذا يستنتج تشسترتون ويبين لنا جِذر وأصل الفرح الفرنسيسكاني الذي هو أيضاً السمة التي يؤكد عليها الأب چوساني كأجمل ثمرة للفقر المُعاش: «وقد يبدو من المفارقة أن نقول بأن الإنسان يصل بفرح إلى اكتشاف أنه مدين [...]. والدائن اللامتناهي [لأن الله هو الذي أعطانا كل شيء]، في هذه الحالة، في الواقع، يشارك فرح المدين اللامتناهي، بقدر ما يختبر كل منهما ذلك، كمدينين ودائنين. وبعبارة أخرى، يصبح الدين والتبعية مُتعة عندما يكون الانسان في حضرة حب نقي غير ملوث».[١٠٢]

إذ ينبع فرح القديس فرنسيس من معرفة أن كل شيء هو نعمة وهبة تأتي من محبة الله النقية التي يثق فيها ويسلّم لها ذاته دون تردد. وفي هذا الخصوص، يقول الأب چوساني ملاحظاً: «أنه من التحرر من الأشياء، التي يجلبها الفقر، يُولد شعور لا يملكه أحد سوى الفقير، أي الذي لا يعلق رجاء حياته في أشياء معينة يختارها هو. [...] فمن هذا التحرر من الأشياء، الذي ينبع من اليقين بأن الله يقوم بكل شيء، تنبثق خاصية أخرى للنفس الفقيرة، وهي الفرح الذي تعتبر شخصية القديس فرنسيس رمزاً له في تاريخ المسيحية».[١٠٣]

إن عدم وجود شيءندافع عنه، وحصولنا على كل شيء في الحال، باليقين فالمسيح، يجعلنا فرحين. «فمن الإيمان يأتي الرجاء، وفي الرجاء يكون الفرح، لأن الفرح لا يمكن أن نكتسبه ونعيشه إلا باليقين في المستقبل».[١٠٤] الفرح، لأني أدرك أن كل شيء هو هِبة – ولولا هذا الإدراك لما بقي إلا تناقض

---

[١٠٠] نفس الكتاب المذكور عاليه، الصفحات ٩٢ – ٩٣

[١٠١] نفس الكتاب المذكور عاليه، الصفحات ٩٦ – ٩٧

[١٠٢] نفس الكتاب المذكور عاليه، الصفحات ٩٨ – ٩٩

[١٠٣] الأب لويچي چوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، كتاب سبق الاستشهاد به، الصفحات ٢٥٩ – ٢٦٠

[١٠٤] نفس الكتاب المذكور عاليه، الصفحة ٢٦٠

كل الأشياء وعدم اتساقها، لأنها تتداعى وتتفتت إن لم أدرك أن الله في هذه اللحظة هو الذي يحافظ عليها وعليَّ أنا أيضاً –، فأنا على يقين بأن المستقبل خير، وأن الأفضل لم يأت بعد، لأنه سيكون الطريقة التي سيستجيب بها الله للرغبة والانتظار الذي يشكلني. وهو سيفعل ذلك، وسيستجيب بأشكال جديدة لا يمكن التنبؤ بها، وأنا على يقين من أنه لن يكون هناك خوف من التضحية الحتمية والتي تصبح شرطاً لوعي أكثر وضوحاً بأن الله وحده يكفي لروح الانسان. «Quid animo satis?».

«وكما أصف في المجلد الأول لمدرسة الجماعة، بأنني قرأتُ كتاباً عن الرهبنة الفرنسيسكانية، حيث كان كل فصل فيه يبدأ بعنوان مميز. وفي أحد تلك العناوين في البداية كان هناك حرف «Q» وهو الحرف الأول من كلمة «Quando» (التي تعني ''متى'')، وكان الفصل يبدأ هكذا – وكان ذلك الحرف «Q» في يظهر في بدايته بشكل طائر صغير وبداخله صورة ظلية للقديس فرنسيس أمام الشمس التي تشرق: رمز الوعي الإنساني لأهلنا وجنسنا، أمام أجمل موضوع في الطبيعة: وهو هذا الفرح. وأدخل حرف Q عبارة عند أقدام صورة القديس فرنسيس. «Quid animo satis?»، ما الذي يكفي نفس الانسان؟ في الحقيقة أنه في هذا السؤال بالتحديد: «ماذا يكفي الروح؟» يكمن التعبير عن الفرح. لأن العلاقة بين القديس فرنسيس وأجمل ظاهرة في الطبيعة كانت منظوراً أبدياً، ومنظوراً للأبدية، وعلامة لها. وهكذا، في الحب الحقيقي هناك فرح بقدر ما يوجد نقص في الامتلاك. ليس عبثاً أن نقول، ونحن نتكلم عن البتولية بأنها الفقر في أقصى درجاته، ولهذا السبب في تكريس النفس لله في البتولية يجب أن يعطي الانسان المال أيضاً، لأنه بدون الفقر لا يوجد نقاء في التكريس. [أخبرني أحدهم أن أكثر ما يلفت انتباهي في أعضاء جماعة حافظي ذكرى الرب (Memores Domini) في الولايات المتحدة ليس أنهم يعيشون بتوليتهم بل لأنهم يضعون أموالهم في صندوق مشترك فيما بينهم. ففي أمريكا يبدو من المستحيل أن يحدث هذا في أمريكا؛ وربما حتى في عائلاتنا يبدو مستحيلاً أحياناً]. ففي علاقة المحبة والعاطفة فإن المنظور الأبدي هو الذي يجعلها سعيدة، وبينما يجعلها سعيدة، فإنه يجعلها حرة من الشروط والقيود: فكلما كان هناك هذا الانفصال في داخلها كلما أصبحت أكثر سعادة. وهذا ليس لتسجيل ملاحظة كل اللحظات ووصفها: فقد تكون هناك فترة أولية من الرضا الأكبر، لكنه رضاً وليس فرحاً؛ فالفرح يبقى».[١٠٥]

السمة الثالثة للشخص الذي يعيش الفقر، في حرية، هي أنه لا ينقصها شيء، ولا ينقصك شيء. «والفقير هو على يقين من بعض الأشياء العظيمة» وبالتالي لا يفتقر إلى شيء، ففي الواقع ما يملكه هو فقط ليعطيه. ويذهب الأب چوساني إلى حد القول: «إن تأكيد آخر باعتباره معنى الذات لا يعني إعطاء خمسمائة ليرة للصندوق المشترك، بل إعطاء كل شيء، وكل الذات للصندوق المشترك».[١٠٦]

إن ''تأكيد حضور آخر''، أي ''الحضور العظيم'' «سيسمح ببناء علاقتك العظيمة بالمرأة أو الرجل؛ ويقين ببعض الأشياء العظيمة التي ستسمح ببناء دورك في المجتمع، والذي سيسمح لعملك بالانتصاب عالياً أمام عينيك كشيء جميل ونافع».[١٠٧] إن لم يكن كذلك، فما قيمة الحياة؟

والملاحظة الأخيرة التي يتعمق بها الأب چوساني في موضوع الفقر كشرط للثقة – وهو الشعور بالحياة الذي يولد من الرجاء – يحدد أن الفقر هو أيضاً شرط لذلك الانفصال الضروري للمعرفة.

---

١٠٥ نفس الكتاب الذي سبق ذكره، ص ٢٦٣

١٠٦ نفس الكتاب المذكور عاليه، الصفحات ٢٦٤ – ٢٦٥

١٠٧ الأب چوساني، «على يقين ببعض الأشياء العظيمة (١٩٧٩ – ١٩٨١)»، بور، ميلانو ٢٠٠٧، ص ٣٨٦

أعتقد أننا على دراية جيدة بالمثال في كتاب «الحس الديني»، في الفصل الثاني عشر، حيث يتحدث الأب چوساني عن المسافة اللازمة لرؤية لوحة، والتي عند النظر إليها من مسافة قريبة تبدو مجرد مجموعة من البقع، ولكن عندما ترى اللوحة من المسافة الصحيحة. ستظهر لك نابضة بالحياة بجمالها وانسجام عناصرها.[١٠٨]

وهنا أيضاً يعود الأب چوساني من جديد إلى القديس فرنسيس وإلى عبارته المؤثرة تلك: «بعد الله والسماء، كلارا». يعلق عليها على النحو التالي: «من الصعب تصور تبجيل واجلال للحب أكبر من هذا. ولكن فكروا في المسافة التي كانت موجودة من وجهة النظر المترية والعشرية. في الواقع، ليس الأمر مسألة قياس، ولكن في النهاية رفقة لها سياق – الهدف، أي كلارا، في نظر فرنسيس تم وضعها في الصحبة العظيمة للكون [أي الله] – ليس مسألة قياس، وإنما رِفقة، وفي النهاية الحب أي التخلي عن الذات وبذل الذات. من الأفضل أن نقول التخلي عن الذات لأنه يوضح فكرة العطاء؛ ففي العطاء، يحتفظ الانسان دائماً بالحق في أن يُقدر لأنه قد أعطى، والحق في الامتنان، وهذا يجعله يخسر كل شيء؛ بينما في التخلي عن الذات، لا، إنه نقي. فكلما أحب المرء أكثر، تخلى عن ذاته أكثر، ولا يؤكد إلا على الآخر».[١٠٩] ففي انفصال الفقر نعرف ونحب.

لذلك، في الفقر، أنت لم تعد ملتصقاً بالأشياء وبالناس، من أجل أمانك الخاص، ولكن فقط فيما يتعلق بمصيرهم، ومن ثم خيرهم وحقيقتهم: «كلما أحب المرء أكثر، أصبحت العلاقة أخف، وأكثر حرية»،[١١٠] وبدون ادعاء. الفقر يجعلك تمتلك وتستخدم الشيء كما لو لم يكن لديك وكما لو كنت لا تستخدمه. يمكننا أن نجد هذا الوصف للفقر في رسالة القديس بولس إلى أهل كورنثوس: «أقولُ لكُم، أيُّها الإخوةُ، إنَّ الزَّمانَ يَقصُرُ. فلْيكُنِ الّذينَ لهُم نِساءٌ كأنَّ لا نِساءَ لهُم، . والّذينَ يَبكونَ كأنَّهُم لا يَبكونَ، والّذينَ يَفرَحونَ كأنَّهُم لا يَفرَحونَ، والّذينَ يَشتَرونَ كأنَّهُم لا يَملِكونَ، . والّذينَ يَتعاطَوْنَ أُمورَ هذا العالَمِ كأنَّهُم لا يَتعاطَوْنَ، لأنَّ صورَةَ هذا العالَمِ في زَوالٍ». [١١١]

الثقة: أن نكون مُعلَّقين على إمتلاء

عند هذه النقطة، يستخدم الأب چوساني، في كتابه «هل يمكن العيش هكذا؟»، صورة مثيرة للإعجاب تجعلنا نفكر على الفور في تعبيرات تشسترتون، التي سبق وأشرنا إليها. يبدو أن التخلي الذي ينطوي عليه الفقر يتركنا معلقين فوق هاوية، دون التشبث بأي شيء، وبدلاً من ذلك: «ليس من المقَّدر للفقر أن يتركنا معلقين في فراغ، ولكن الفقر الذي يُولد من الرجاء مُقَّدر له أن يؤسس ويمجد، ويوَّسِع، ويملأ العالم كله بالثقة، الذي تراه أعيننا بشغف. ونتيجة الفقر الذي ينبع من الرجاء إسمه الثقة، وهي عكس أن نكون معلقين في فراغ. فالثقة هي عكس أن نكون معلقين في فراغ: أي أن نكون معلقين على امتلاء».[١١٢]

---

[١٠٨] الأب لويچي چوساني، «الحس الديني»، كتاب سبق الاستشهاد به، الصفحات ١٧٢ – ١٧٣

[١٠٩] الأب لويچي چوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، كتاب سبق الاستشهاد به، ص ٢٦٩

[١١٠] نفس الكتاب الذي سبق ذكره، ص ٢٧٧

[١١١] ١ كور ٧: ٢٩ – ٣١

[١١٢] الأب لويچي چوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، كتاب سبق الاستشهاد به، ص ٢٧٨

فالحضور الذي اكتشفناه في الإيمان يحفظ الحياة، الآن وإلى الأبد، ولذلك يمكننا أن ننظر إلى المستقبل ونحن واضعين ثقتنا في آخر (الثقة تأتي من **fidere se alicui**، أي أن نضع أنفسنا في عناية آخر) دون خوف إلى أن يتحقق المصير.

أ) تسليم الذات للعناية الإلهية

ويواصل الأب چوساني، الثقة هي تسليم الذات مثل تسليم الطفل لذاته بين ذراعي أمه. وكما وصفه الشاعر بيجي (**Péguy**)، فإن تسليم الذات هذا، الذي ينظر إليه الله، هو بالتحديد الرجاء، وهو قوة الإنسان: فهو يسلم ذاته وهذا يلمس ويؤثر في الله ذاته. والرجاء الطفولي يحصل على كل ما يريده، مثل الأطفال. «آه، إنهم أذكياء، يتظاهرون بعدم القيام بأي شيء، / هؤلاء الأشقياء، / إنهم يعرفون جيداً ما يفعلون، / الأبرياء. [...] / بهوائهم البريء؛ / وبهواء عدم معرفتهم أي شيء؛ / عدم المعرفة».[١١٣] وقدم باولو بروسبيري (**Paolo Prosperi**) ملاحظة حول الكتاب "سر الأسرار. الرجاء عند بيجي": «في عدم معرفته أي شيء، يعرف الطفل ما عرفه البالغ ذات يوم ولكنه نسيه. إنه يعرف القوة المتناقضة للانتظار الخالص، ولذلك السؤال الذي يتلقى طاقة من إنطلاقه الذاتي وليس من الشعور بالاستحقاق الشخصي، بل من الاستسلام العاري والفج لمجانية الحب الذي يسبق كل استحقاق».[١١٤]

قلنا هذا الصباح أن الله ينظر و «يشتاق» إلينا باشتياق الأب لابنه، عندما نسلم أنفسنا له، تقريباً بادعاء ليس بادعاء، لأنه لا يتغذى من صورنا، بل من الثقة به فقط مثل شطارة الأطفال، الذين يعرفون أنه ليس لديهم أي استحقاق للمطالبة به ولا يمكنهم سوى تسليم ذواتهم (لعناية والديهم). دعونا نستمع إلى الشاعر بيجي مرة أخرى: «الأطفال هم مخلوقات جديدة. / وهم أيضاً، قبل كل شيء، أول من يأخذون السماء بالقوة. / ينتزعون ويختطفون. / ويا لها من قوة نرحب بها وقوة حنونة. / كما يتحمل الأب عن طيب خاطر / كما يحب أن يتحمل عنف هذه القوة. / أحضان هذا الحنان. / أما أنا، يقول الله، فلا أعرف شيئاً جميلاً في العالم / كطفل شقي يُدردش مع الله الصالح / في نهاية حديقة. [...] / رجل صغير يروي أحزانه للرب الصالح / بأكثر طريقة جدية في العالم».[١١٥] «طوبى لكِ أيتها الطفولة. فجسدهم الصغير كله وشخصهم الصغير كله وكل حركاتهم الصغيرة تمتلىء وتقطر وتفيض بالرجاء. [...] / إنكم أيها الأطفال تقلدون يسوع. / لا تقلدوه. فكل واحد فيكم هو يسوع الطفل [...] / فبالطفولة نصل إلى يسوع».[١١٦]

إن تسليم الثقة هو تسليم يسوع لثقته إلى الآب، وهنا نفهم بأن نكون مثل الأطفال ليس طفولية، بل تسليم الذات له، حتى أمام التضحية والمعاناة والألم، «بجرأة ساذجة»، وبأمان يعبر عنه

---

[١١٣] شارل بيجي، «الأسرار»، كتاب سبق الاستشهاد به، ص ١٧٩

[١١٤] باولو بروسبيري، «سر الأسرار. الرجاء حسب بيجي»، شوليه-مورتشيليانا، بريشا ٢٠٢٣، ص ١٣٧

[١١٥] شارل بيجي، «الأسرار»، كتاب سبق الاستشهاد به، ص ٣٨٨

[١١٦] نفس الكتاب المذكور عاليه، الصفحات ١٨٠ - ١٨١

المزمور ١٣١، على وجه التحديد، «مِثلَ مَفطومٍ في حِضْنِ أُمِّهِ»،[١١٧] دون أن يعرف مسبقاً ما سيحدث، ولكنه واثق من أنه بالمسيح يمكنه أن يذهب إلى نهاية العالم دون خوف. وهكذا كانت هذه الثقة التي اختبرها الرسل عندما كانوا مع يسوع، كما يقول الأب جوساني: «إن علامة تسليم الذات هي كما لو أن كل منابع كبرياء المرء قد جفت، فلم يعد يتفاخر، وأصبح من المستحيل عليه أن يفتخر لأنه لا شيء له، ويصبح كل شيء له إذا لم يكن هناك شيء يملكه».[١١٨]

ب) «أَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ الَّذِي يُقَوِّينِي»[١١٩]

ولا يفشل تسليم الثقة هذا بسبب الخيانة التي نقع فيها مرة أخرى. «يا سِمْعانُ بنَ يونا، أَتُحِبُّني؟». لأن رحمته أقوى من سقوطنا إذا نظرت إليه في وجهه.

«لا تحلم أحلام يقظة وتسعى إلى الكمال، بل انظر إلى وجه المسيح [...]. ليست مشاريع الكمال، بل النظر في وجه المسيح، النظر في وجهه! بسيط جداً، وسهل جداً... ولكنه غير مريح جداً، لأنك لم تعد قادراً على إتباع ذاتك. فالسعادة هي إتباع آخر. بالطبع، النظر إلى وجه المسيح وعدم التخطيط للكمال يعني أن ننظر إلى وجه المسيح برغبة حقيقية في الخير، وبرغبة حقيقية في أن نكون صادقين وبرغبة حقيقية في الحب: ''أُريدُكَ حقاً يا رب''».[١٢٠]

«أستطيع كل شيء»، ولكن ليس بمعنى اللامبالاة الذي يقودنا إلى الاعتقاد بأننا يمكن أن نرتكب الأخطاء، لأنه دائماً تتم مغفرتنا. ومع ذلك سيكون هذا وهماً قصير الأمد، لأننا سوف ننجرف إلى اللامبلاة ذاتها، ولكن برغبة حقيقية منه في أن يغفر لنا.

كما أن بيننا سوء الفهم واللبس هذا الذي بسببه نستطيع القول بأننا في مسار النهر الصحيح، الذي يقودني على أي حال. وقال كاراس (Carras): «كم نحن محظوظين لأننا التقينا بالأب جوساني!». إنه حقاً لحظ عظيم أن نلتقي بالأب جوساني، ولكن الحظ الأكبر هو أن نترك أنفسنا ليحملنا التيار، دون أن نرغب حقاً في التغيير، مثل الاتباع عن بعد وعلى المدى الطويل، دون تلك الجرأة الساذجة.

وقد تجلّت لي هذه المخاطرة في مدينة ليما، في عام ٢٠٠٨، عندما توفي صديقنا العظيم خادم الله أندريا أزياني (Andrea Aziani). الكثيرون قرأوا الكتاب الذي نُشر عنه.[١٢١] وبما أن الله يُظهر لنا رحمته دائماً من خلال وجوه ملموسة، ومن خلال الوجه الملموس لهذه الرفقة (الصُحُوبية)، فقد شعرنا جميعاً، نحن الذين كنا شهوداً كل يوم لقداسته الحقيقية المفعمة بالرحمة وبقوة اقتراحاته، والتي كان أندريا يعطي بها كل ما عنده وكان يعاملنا وكدنا نشعر بأنه كان يحملنا على أكتافه، حتى بكل أخطائنا. كان بإمكاننا أن ننظر إليه دائماً، بل كان بإمكاننا بالنظر إليه أن ننظر إلى حيث كان ينظر هو، أي إلى الحركة، وإلى المسيح. لكن في بعض الأحيان كان هذا عذراً لعدم تحمّلنا مسؤولية أن نجعل أنفسنا

---

[١١٧] «يا ربُّ لا يَتكَبَّرُ قلبي، ولا تستَعلي عيناي، ولا أتَعالَى على ما هوَ أعظمُ وأَحَبُّ مِنِّي. بل أُهَدِّئُ نفْسي وأُسكِتُها مِثلَ مَفطومٍ في حِضْنِ أُمِّهِ، مِثلَ مَفطومٍ أُهَدِّئُ نفْسي. إجعَلْ يا إسرائيلُ رَجاءَكَ في الرَّبِّ مِنَ الآنَ وإلى الأبدِ». (مز ١٣١)

[١١٨] الأب لويجي جوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، كتاب سبق الاستشهاد به، ص ٢٨٢

[١١٩] فيليبي ٤: ١٣

[١٢٠] الأب لويجي جوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، كتاب سبق الاستشهاد به، الصفحات ٢٨٣ – ٢٨٤

[١٢١] ج. ميريجيتي (Gianni Mereghetti) – ج.ك. بيلوزو (Gian Corrado Peluso)، أندريا أزياني، «حياة محمومة»، إيتاكاليبري، كاستل بولونييزي ٢٠٢٣

بسطاء مثله، بتسليم ذواتنا للمسيح كما فعل هو. لذلك عندما مات سقط عُذرِنا بطريقة ما. ووجدنا أنفسنا ضائعين إلى حد ما. والآن؟ من سينقذنا من أخطائنا؟ إلى من سنتطلع؟ لقد كان تحدياً كبيراً، لأنه وجب أن ندرك أنه كان علينا أن نخطو خطوة، ليس من حيث القدرة، بل في بساطة وصدق الثقة الحقيقية في الوجه الملموس الذي طالما تطلع إليه أندريا، إلى الكاريزما وإلى الكنيسة وإلى يسوع، بتلك النقاوة والكمال (مثل ثقة الأطفال) التي، بدلاً من الحسد، أمكننا أن نبدأ أيضاً في اختبارها.

ثم يتحدث الشاعر بيجي عن حرية ومجانية الأبناء، لا الخدم الخائفين، في تطلّعنا إلى الله الذي يرضيه ذلك ويحبه. وهذه صفحات جميلة لأنها تُظهر القامة الإنسانية التي تزدهر من الرجاء الموضوع في المسيح ومن الثقة المملوءة بالتسليم ومن اليقين الذي لا يتصدع بتحقيق وعده.

«هل يمكن أن يرضي أن يكون محبوباً من قبل العبيد؟ [...] / بمجرد أن يحاول المرء أن يُحب بحرية ، لم يعد للخضوع أي طعم أو مذاق. [...] / / كما أن حريتهم هي انعكاس لحريتي ، / لذلك أحب أن أجد فيهم مجانية معينة ، / هي بمثابة انعكاس لمجانية نعمتي. [...] / / وأحب ذلك بمعنى معين أن يصلوا ليس بحرية فقط ولكن كما لو كان ذلك مجانياً، / وأحب أن يركعوا على ركبهم ليس فقط بحرية ولكن بمجانية أيضاً. [...] / وأحب أن يحبوا ، يقول الله في النهاية ، ليس بحرية فقط ولكن بمجانية أيضاً».[١٢٢]

إنه فرح تسليم الثقة لله، والرجاء فيه، وليس فرح الحصول، بحسب الصورة التي لدينا لما نطلبه. إنه فرح القديس فرنسيس الذي يرى كل شيء كما يتدفق بلا انقطاع من الامتلاء الذي هو الله. وأن نكون مرغوبين ومحبوبين هو الاكتشاف الذي لا ينقطع والذي يجعل تسليم حياتنا بين يدي الله عملاً مجانياً وحراً وهو يحملنا في الحياة.

ج) من الثقة الاحتفال، ومن الاحتفال الرسالة

لنخطوا خطوة أخرى إلى الأمام. إن كوننا محبوبين ومرغوبين ومتمتعين بالغفران هكذا هو احتفال وعيد، بل، عند النظر إلى وجه يسوع يبدأ الاحتفال بالفعل: «إنه الاحتفال الذي يعطي قيمة ومعنى لكل صحوة في كل صباح وفي كل مرة تقول فيها «يا إلهي»، وفي كل مرة تنظر إليه وتقول له: «اغفر لي يا إلهي»: إنه احتفال وعيد، إنه احتفال يحدث والثقة هي حالة مزاجية تدعو للاحتفال من أي موقف لديك [إنه الاحتفال بعودة الابن الضال]. فإذا كانت لديك ثقة، فحتى من كل نقاط ضعفك تُولد قدرة على الانتصار مع من هو قوتك، تولد القدرة على النصر وهذه هي جرأة هؤلاء التلاميذ السبعة أو الثمانية الذين تبعوه أولاً. كان هناك سبعة أو ثمانية، وكان لديهم بالفعل، وكانوا يكررون لأنفسهم الوعي بالانتصار على العالم، وأنهم الشعب اليهودي الجديد: ذلك الشعب الذي سيغزو العالم، لأنهم كانوا معه».[١٢٣]

وهذا ما أعتقد أنه ولَّد بديهة أنس (Anas) التي عبَّر عنها في أغنية «الحفلة على وشك أن تبدأ»: الحفلة على شاطئ بحر الله، أي أنهم لم يعدوا أسياداً على أنفسهم، بل سلموها له، ووضعوا ثقتهم فيه وفي مخطته لحياتهم. «الحفلة على وشك البدء، / اجري يا صديقي ولا تتوقف. / إنه

---

[١٢٢] شارل بيجي، «الأسرار»، كتاب سبق الاستشهاد به، الصفحات ٣٢٢ و ٣٢٧

[١٢٣] الأب لويجي چوساني، «هل يمكن العيش هكذا؟»، كتاب سبق الاستشهاد به، الصفحات ٢٨٥ – ٢٨٦

الاحتفال بنهاية الشر / على شاطئ بحر الله [...] / وخطوة بعد خطوة نحو البحر / كل شيء أبسط وعلى وشك أن يبدأ. / لا أشعر بأي ألم هو ألمي، / أعاني من الحب والفرح مثل الله».[١٢٤] ألمي لم يعد موجوداً ولا تضحيتي: إذ هناك تضحية يسوع وآلامه في داخلي. ولذلك هو الاحتفال بالتحرر. إنه عيد الأب بعودة الابن الضال.

فالعيد إذن هو «رسالة»، لأنّه يضع في العالم حضورًا جديدًا احتفاليًّا. إنسانية متحققة، تعيش ظروف الحياة بإعطاء كل شيء كي نعترف به وكي يمكن للرجاء الحي فينا أن يجيء من جديد رجاء البشر. أتتذكرون المقصود من يوم بداية العام؟ «من الإيمان الرسالة».[١٢٥]

وجدتُ نصاً من عام ١٩٩٩، مرفقاً مع عدد شهر ديسمبر من مجلة «آثار»، بعنوان «اليوبيل والحياة»، أعتقد أنه قد يكون مفيداً لفهم الرسالة التي ننطلق إليها بالرجاء. قال الأب چوساني: «في جواتيمالا، خلال زيارته الرعوية في مارس/آذار ١٩٨٣، قال قداسة البابا يوحنا بولس الثاني أن المسيح هو السلاح الجديد لعالم جديد. لكن هذا الرجاء لا يقوم على مواردنا أو على موارد تلك الأنا التقديرية التي هي المجتمع والقادة والأشياء التي يصنعها الإنسان؛ وهذه الحياة الجديدة، وهذا الرجاء يقوم على هذا الحضور. ففي نهاية الأمر، الإيمان هو الاعتراف بحضور، والاعتراف بهذا الحضور يعيد للانسان روحه ألف مرة في اليوم الواحد، في أي وضع يجد نفسه فيه، حتى في الموت، وبالتالي يعطي الانسان القدرة على الانفتاح على الآخرين بنقاء، أي بمجانية. لهذا السبب فإن المسيح، فادي الإنسان، لا يصلح للحياة الآخرة فقط، بل لحياة الانسان هنا على الأرض أيضاً اليوم وفي هذه الساعة، داخل الرفقة (الصُحُوبية) التي أنا فيها، وداخل الرفقة (الصُحُوبية) التي سأكون فيها؛ لذلك فإن هذا الرجاء لا شواطئ له، إنه يشمل ويحتضن العالم. فهذا الرجاء بطبيعته اجتماعي، بطبيعته لا توجد مشكلة إنسانية أو حاجة أو موقف لا يتأثر به ولا يشعر به ولا يهتم به بشكل إيجابي. إن الصيغة العظيمة للحياة المسيحية التي قالها القديس بولس هي: «بالرجاء ضد الرجاء». لهذا السبب فالمسيحيّ هو إنسان يلتزم بشكل بارز بالتفاعل مع الناس والأشياء في كل الظروف، حتى في السياسي منها، لأن هذا الحضور قد حرّك مياه مستنقع عجزنا الكبير، فقد دخل هذا الحضور وحرّك كل شيء، وتندفع هذه الأمواج إلى أقصى الشواطئ، أي أنها تعانق العالم حتى أقاصي الأرض. لهذا السبب لم يعد هناك شيء غريب على لحظتي الملموسة؛ فأنا أعيش، إذن، لحظتي الملموسة بمحاولة حبّ تُسمّى باللغة المسيحية ''تقدمة'' للعالم أجمع. وهذه التقدمة تجعلني أبكي بحزن على بؤسي، وتفتحني على فرح الرجاء، لأنها لا ترتكز عليّ، بل تمرّ من خلالي وتستخدمني. لذلك، ومع أنني بائس جداً لدرجة أنني لا أستطيع أن أعطي إلا القليل جداً، فأعطي هذا القليل».[١٢٦] فالرجاء الموضوع في المسيح يجعلنا نرغب في استثمار كل شيء بحضوره، ليجدد رجاء العالم.

وفي هذا الخصوص، أود الاستشهاد للمرة الأخيرة من نص كتاب عام ١٩٦١ الذي يتحدث فيه الأب چوساني عن «الاجتهاد الذي لا يمكن اختزاله في أوقات معينة ولا يقتصر على مشاريع معينة فحسب، بل يشمل كل لحظة ويصير واجباً نبيلاً حتى أبسط الأعمال وأصغرها. فالاجتهاد الذي يحقق

---

[١٢٤] «الحفلة على وشك أن تبدأ»، كلمات وموسيقى أنطونيو أناستازيو (Antonio Anastasio)

[١٢٥] «من الإيمان الرسالة»، د. بروسبيري وف. كاسيزي (Francesco Cassese)، «الإيمان، إكتمال العقل»، مجلة «آثار»، عدد ١٠/ ٢٠٢٣، ص ١٤

[١٢٦] الأب لويچي چوساني، «اليوبيل والحياة»، مجلة «آثار»، عدد ١١/ ١٩٩٩، ص ١٢

السمو وسط الابتذالية الظاهرة للحياة الأكثر بؤساً».[١٢٧] لقد قال ذلك بالفعل في عام ١٩٦١ ! إن الأمر لا يتعلق بالقيام بأشياء مثيرة، لكن بفعل كل شيء من خلال تسليم نفسي بين يدي من يجعل «سامياً» كل فعل كتقدمة ذاتي للعالم أجمع. لذلك، نتواجد داخل المجتمع، وداخل الظروف اليومية بالوعي بأن من تملَّك حياتنا هو لجميع البشر.

تعيش الرسالة وتتحقق بالانتماء وبوحدتنا التي تدعمنا في إضفاء النظرة الجديدة للواقع النابعة من الإيمان على واقع الظروف اليومية. فالعيش من خلال الإتيان بالوعي لهذه الوحدة، الذي هو ليس وعي داخلي فقط، داخل «إبتذالية الحياة» في كل يوم. أن نكون حاضرين في أماكن الحياة الواقعية حضوراً أصيلاً: غير مسلحين بخطاب أو مشروع، ولكن قادرين على الحكم وأحرار في اقتراح طريقة جديدة وواعية للحياة تهتم بكل التفاصيل وتُشغِلنا كليةً حتى العظام.

هل تتذكرون وصف المسيحيين الأوائل الوارد في الرسالة إلى ديوجنيتوس (Diogneto) ؟[١٢٨] عالمٌ آخر في هذا العالم: فالمسيحيون موجودون في العالم مثل الآخرين من البشر، ويلبسون مثل الآخرين، ولكنهم بداية عالم آخر داخل العالم. أريد أن أقرأ لكم رسالة اليوم إلى ديوجنيتوس. إنها شهادة صديق برازيلي يصف الرفقة (الصُحُوبية) التي يعيشها مع أصدقائه في الحركة: «أرى في نفسي وفي رفقة الأصدقاء الذين يعيشون الإيمان معي بعض الخصائص الواضحة جداً. فبالنسبة لأصدقائي، كل الظروف، كل واحدة منها، منطقية ولها معنى، ولهذا السبب هم ممتنون لكل ما يحدث، حتى الآلام والمعاناة. إن لديهم نظرة مليئة بالاهتمام والحنان تجاه الآخر، لأن الآخر هو علامة حضور المسيح. إنهم صبورون، وليس هناك ما يتذمرون منه أو يغضبون منه، لأن النتيجة لا تكمن في قدراتهم الخاصة، بل في المسيح وكل شيء يساهم في العلاقة معه. إنهم يعرفون كيف يغفرون لأنهم يعون ويدركون خطيئتهم والغفران الذي ينالونه على كل خطأ ارتكبوه. لديهم الرجاء لأنهم يعرفون أنه يأتي وكل شيء يصب في ذلك. إنهم لا يبقون دون أن يلاحظهم أحد في بيئة العمل، لأنهم يعطون شهادة لطريقة أكثر إنسانية للعيش، وشهادتهم للمسيح هي طريقة عيشهم».

يقول الأب چوساني في حديث يكاد يكون حديث حول مائدة الطعام: «إن من يؤمن بيسوع تتملكه قوة سر المسيح، ويدخل في شخصيته، فيصير بالتالي جسداً واحداً، بالمعنى الحرفي للكلمة، ويتسع هذا الجسد والمقدر له الاتساع حتى يكون مثمراً».[١٢٩] لقد تأثرت بقراءة ذلك، لأنه يُعطي دائماً سبباً لكل ما يقوله. والعقل، كما سمعتم، هو الوعي بحضور المسيح وغفرانه، لأنه هو معنى كل شيء. وأولئك الذين يعيشون بالإيمان ويختبرون الرجاء يجدون أنفسهم واحداً. ويتابع الأب چوساني: «إن العلاقة بين المسيح والرفقة التي هو حاضر فيها تجعل هذه الرفقة مثمرة: وهذه الرفقة مُقدر لها أن تسيطر وتمتلك العالم».[١٣٠]

أتتذكرون يوم بداية العام، عندما أشار دافيدي بروسبيري إلى كلمات المونسنيور باولو مارتينيلي (Paolo Martinelli)، النائب الرسولي لجنوب الجزيرة العربية، عندما قال إن كوننا مبشرين يعني أنه تم إرسالنا،[١٣١] والعيش في رفقة داخل الواقع بالوعي بأننا مرسلين.

---

[١٢٧] الأب لويچي چوساني، «إحمل الرجاء»، كتاب سبق الاستشهاد به، الصفحات ١٦١ – ١٦٢

[١٢٨] الرسالة إلى ديوجنيتوس، الفصل الخامس، في النسخة اليونانية توجد في الصفحة الثانية ، الفقرات من ١١٦٧ إلى ١١٨٦

[١٢٩] الأب لويچي چوساني، «الحضور الذي يغير»، بور، ميلانو ٢٠٠٤، ص ٣٦٨

[١٣٠] نفس الكتاب والصفحة المذكورين أعلاه

[١٣١] «من الإيمان الرسالة»، مداخلات دافيدي بروسبيري و فرانشيسكو كاسيزي، «الإيمان، إكتمال العقل»، سبق ذكره، ص ١٤

ويتحدث الأب چوساني عن الأمر على النحو التالي: «عندما كنا أربعة أولاد في مدرسة بيرشيه (Berchet) الثانوية ، كان لدينا قناعة أوضح بكثير من كل الناس اليوم: بأننا خُلقنا لنسيطر على العالم. لدرجة أنه بعد عامين، طلب أول الخريجين من المدرسة الثانوية الذهاب لرسالة التبشير. وبعد عامين ذهبنا في رسالة تبشيرية: الحالة الوحيدة لواقع تبشيري تم تصوره ودعمه – مالياً وكأشخاص – من قِبل الأولاد. الحالة الوحيدة في التاريخ، حتى لو لم يقلها أحد. [...] هذه الرفقة مع المسيح مُقدر لها أن تكون مثمرة، أي أن تدخل في العالم أجمع. ومع التوسع رويداً رويداً، يظهر أكثر وضوحاً أنه يُشكِّل شعباً داخل المجتمع الانساني: إنه شعب مختلف؛ يدرك ويتصور ويحكم ويحب ويقرر ويبدع بطريقة مختلفة».[١٣٢]

وفي نص آخر، يؤكد أن الثقة بمن التقينا به يجعل منه معيار الفهم والحكم والمثال الملموس لكل عمل نقوم به. وهنا يتم توثيق تصور جديد للحياة والعالم: «القضية الأساسية إذن هي مفهوم الإنسان: ماذا يعني التغيير الجِذري الذي أحدثه المسيح في تصور الإنسان وصورته وشعوره؟ وأي تغيير أحدثه في مفهوم العقل وفي مفهوم القلب وفي مفهوم الشعب وفي مفهوم المسؤول عن حياة شعب وفي مفهوم كونك قائداً ومرشداً للشعب؟ إذا ظهرت هذه الأشياء، عندئذ يبدأ الانسان في الرغبة بأن يكون المجتمع هكذا، ثم يكافح في المجتمع. [...] ويظل الإيمان هو الشيء الأكثر أهمية، ولكن الإيمان العقلاني، المعبأ بمقارنة الأشياء التي تحدث في الزمان والمكان وكل ما يتم هناك. ثم يستخلص الانسان من هناك صوراً جديدة لليوم التالي لعلاقاته مع الزوجة ومع الأطفال ومع الزوج ومع الآخرين من أهل بلده، أو مع أي تصويتات سياسية قد تحدث. الرجاء ينشأ من الوعي المتطور للرسالة التي يتضمنها الإيمان (كانت قوتنا تكمُن في هذا فقط، هذا فقط!)».[١٣٣]

إيمان عقلاني: علينا أن نساعد أنفسنا على الحكم، وليس لانتاج خُطبة نعارض به الآخرين، ولكن لاكتشاف المزيد من أصالة خبرتنا وبالتالي نكون قادرين على اقتراحها على الجميع بكل أسبابها. يا له من راحة بالنسبة لي، ولكنني أعتقد أنه أيضاً كذلك بالنسبة لكم، قراءة أحدث أعداد مجلة الحركة «آثار» Tracce، حول الذكاء الاصطناعي والعاطفة ونهاية الحياة! إن النظر إلى التعقيد الحقيقي للقضايا المطروحة، ومحاولة إصدار حكم من خلال الحضور في أعيننا لمن يجعل الرجاء ممكناً، يظهر أن كل حياة جديرة ومحبوبة؛ وأفكر بشهادة هؤلاء الذين يعيشون في رفقة أولئك الذين يجدون أنفسهم في أقسى ظروف حياتية. ومن المثير للإعجاب ولجيشان العواطف أن نرى النظرة المختلفة والأكثر إنسانية التي تنبع من هذا الرجاء. وأفكر أيضاً في شهادات الرسالة التبشيرية. تذكروا ما يقوله القديس بطرس في رسالته الأولى: «فمَن يُسيءُ إِلَيكم إِذا كُنتم ناشِطينَ لِلخَير؟. لا بل إِذا تأَلَّمتُم مِن أَجْلِ البِرّ فطوبى لَكم! لا تَخافوا وَعيدَهم ولا تَضطَرِبوا. بل قدِّسوا الرَّبَّ المَسيحَ في قُلوبِكم. وكونوا دائِمًا مُستَعِدِّينَ لأَن تَرُدُّوا على مَن يَطلُبُ مِنكم دَليلَ ما أَنتم علَيه مِنَ الرَّجاء. ولكِن لِيَكُنْ ذلك بِوَداعَةٍ ووَقار، ولِيَكُنْ ضَميرُكم صالِحاً، فإِذا قالَ بَعضُهم إِنَّكم فاعِلو شرّ، يَخْزى الَّذينَ عابوا حُسْنَ سِيرَتِكم في المسيح. فخَيرٌ لَكم أَن تَتأَلَّموا وأَنتُم تَعمَلونَ الخَيْر، إِن شاءَ اللهُ ذلك، مِن أَن تَتأَلَّموا وأَنتُم تَعمَلونَ الشَّرّ».[١٣٤]

---

١٣٢ الأب لويجي چوساني، «الحضور الذي يغير»، كتاب سبق ذكره، ص ٣٦٨

١٣٣ الأب لويجي چوساني، «العيش بالجسد»، بور، ميلانو ١٩٩٨، الصفحات ٢٧٣ – ٢٧٤

١٣٤ ١ بط ٣: ١٣-١٧

«بلطف واحترام»، ينبعان من اليقين، ليس بشكل عام، ولكن الذي تم التحقق منه إلى درجة الحكم حتى على الظروف الأكثر إبتذالية، بالتمسك الجِذري بالمسيح الذي هو المعنى والأفق لكل شيء.

إن الشهادة والرسالة أيضاً يَعتبران الاستشهاد هو الأفق الأخير الممكن لهما. ففي دولة بيرو، في وسط جبال الإنديز، استطعت زيارة دير «أوكوبا» (Ocopa) الفرنسيسكاني عدة مرات، على ارتفاع ٣٤٠٠ متر. وهناك في ذلك المكان النائي والمنعزل وسط الجبال الشاهقة الارتفاع، والتي تنحدر منها الأنهار التي تُشكِّل بعد ذلك نهر الأمازون، توجد مكتبة تحوي ٤٠ ألف مجلد وكتاب. لأنه هناك، لمدة ثلاثة قرون، تم تدريب الرهبان الذين غادروا بعد ذلك للقيام بالرسالة بالنزول إلى غابات الأمازون. وقبل كل شيء، هناك غرفة يحتفظ فيها الرهبان بذكرى ما يقرب من ٩٠ شهيداً، غادروا أوكوبا ونزلوا عبر الأنهار في الغابة بالقوارب ولم يعودوا أبداً. ولكن بفضلهم صارت منطقة الأمازون في بيرو مسيحية. إذ كان يذهب الرهبان في مجموعات، وكل مجموعة كانت مكونة من إثنين من الرهبان الذين ربما وجدوا تجمعات من السكان الأصليين الذين رحبوا بهم أو قتلوهم بسهام أنابيب النفخ. عندئذ كان يذهب رهبان آخرين. لم ينزل الإسبان أبداً إلى الغابة، بينما كان الرهبان يخوضون مغامرات بلا أسلحة، واثقين فقط من المسيح الذي دعي إليه كل إنسان، لأن هؤلاء الرجال والنساء الذين عاشوا وما زالوا يعيشون في الأمازون يحتاجون أيضاً إلى المسيح. تأثرت عندما رأيت تلك الصالة وأيضاً عندما علمت أنهم عندما اتجهوا شمالاً بقواربهم عن طريق أنهار ريو مانتارو (Río Mantaro)، وريو أوكايالي (Río Ucayali)، وهوالاجا (Huallaga)، ومارانيون (Marañon)، وهي الأنهار العظيمة التي تصب في نهر الأمازون، والتقوا في نقطة معينة بالرهبان اليسوعيين الذين نزلوا من سلسلة جبال كولومبيا (Colombia). ما هي الثمرة المباشرة التي أعطتها تضحياتهم؟ بدا الأمر وكأنه لا شيء، لكنهم زرعوا البذرة، أو بالأحرى، ربما هم أعدوا الأرض فقط، كما كتب الراهب اليسوعي العظيم الأب ماتيو ريتشي (Matteo Ricci) عن رسالته في الصين. أقرأ لكم جزءاً من إحدى رسائله وهو شيء رائع. يقول الأب ريتشي: «أما عن ذلك الشخص [يرجع أصل الأب ماتيو ريتشي إلى إقليم ليماركِه (Le Marche) في وسط إيطاليا ولذلك كان يكتب قليلاً بلهجة أهل ليماركِه] الذي سألني بأن هناك من يرغبون في رؤية بعض حالات الاهتداء إلى المسيحية من الصين، فاعلم أنني، مع كل الآخرون الموجودون هنا، لا يحلمون بأي شيء آخر لا ليلاً ولا نهاراً إلا بهذا [أن يكون هناك حالات كبيرة من المهتدين إلى المسيحية]؛ ولهذا السبب تركنا وطننا وأصدقائنا الأعزاء، وقد ارتدينا الزي الصيني ونتعلنا الصنادل الصينية، ولا نتكلم ولا نأكل ولا نشرب ولا نعيش في المنزل إلا بالتقاليد الصينية؛ ولكن الله لا يريدنا أن نرى بعد ثمار عملنا الشاق، [...] لأن الوقت الذي نعيشه في الصين ليس وقت الحصاد، ولا حتى وقت رمي البذور في الأرض، بل هو وقت فتح الغابات المتوحشة والقتال مع الوحوش البرية والثعابين السامة الموجودة هنا. وسيأتي آخرون بنعمة الرب الذين سيكتبون عن اهتداء المسيحيين وحماسهم».[١٣٥] يا له من يقين في تلبيته للرسالة، وفي التضحية بكل شيء، بكل شيء، ما عدا فرح بذل الحياة من أجل المسيح حتى يعرفه الآخرين!

لكن هل تدركون؟ توجد رسالة أخرى مذكورة في نفس الكتاب تحكي عن مجرمين هاجموا منزلهم، مما أدى إلى إصابة الأب ماتيو ريتشي وإخوانه الرهبان، وسرقوا كل شيء. ألقت الشرطة القبض على

---

[١٣٥] أ. سرچاني (Antonio Sergianni)، «المسيح بين الصينيين، شخصية الأب م. ريتشي»، لاكونكيليا ديسنتياجو، سان منياتو (بيزا) ٢٠٢٣، ص٥٧

السارقين وأرادت الحكم عليهم بالإعدام. عندئذ ذهب الأب ماتيو ريتشي وإخوانه من الرهبان اليسوعيين إلى المحكمة للدفاع عن هؤلاء السارقين وقالوا: «لا تقتلوهم إذ لا يهم ما حدث لنا». وفي النهاية لم يحكموا عليهم بالإعدام. فذهب الجميع وجثوا أمامهم قائلين: «ما رأينا أحداً تلقى مثل هذا الظلم الذي لقيته منكم، ويحسن إلى من ظلمه. ما هي المسيحية؟».

ربما لسنا مدعوين للذهاب مثلهم (من يدري؟ لم أكن أتخيل السفر إلى هناك)، لكننا بالتأكيد مدعوون لنكون حضوراً تبشيرياً بوحدتنا التي تعيش فيها إنسانية أخرى، عالم آخر في هذا العالم.

يكتب القديس بولس إلى أهل رومية: «إِنِّي أُناشِدُكم إِذًا، أَيُّها الإِخوَة، بِحَنانِ اللهِ أَن تُقَرِّبوا أَشْخاصَكم ذَبيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسةً مَرْضِيَّةً عِندَ الله. فهذِه هي عِبادَتُكمُ الرّوحِيَّة. ولا تَتَشَبَّهُوا بِهذِه الدُّنيا، بل تَحَوَّلوا بِتَجَدُّدِ عُقولِكم لِتَتَبيَّنوا ما هي مَشيئَةُ الله، أَي ما هو صالِحٌ وما هو مَرْضِيٌّ وما هو كامِل. [...] فكما أَنَّ لَنا أَعضاءً كَثيرةً في جَسَدٍ واحِد، ولَيسَ لِجَميعِ هذِه الأَعضاءِ عَمَلٌ واحِد. فكذلِكَ نَحنُ في كَثْرَتِنا جَسَدٌ واحِدٌ في المسيح لأَنَّنا أَعضاءُ بَعضِنا لِبَعْض».[١٣٦]

إن عيش الرسالة، والحضور، أمر ممكن دائماً بالوحدة العضوية للكنيسة، ولرفقتنا: وأود هنا أن أحكي لكم شيئاً عن صديقي العظيم، الأب باولو بارچيچيا (**Paolo Bargigia**)، الذي شاركت معه حياتي كلها، منذ أن كنا في سن السادسة عشرة من عمرنا، في شبيبة الطلبة (**Gioventù Studentesca**)، ولم نتخيل في ذلك الوقت حتى دخول المعهد الاكليريكي (كنا في نفس العمر وكنا معاً طوال الوقت، مثل الفرسان الثلاثة، مع أندريا بيلاندي (**Andrea Bellandi**)، رئيس أساقفة ساليرنو الحالي؛ وكما هو الحال مع الفرسان الثلاثة كان هناك أيضاً صديقاً رابعاً، الأب باولو ميللوسكي (**Paolo Milloschi**)، الذي اكتشف دعوته الكهنوتية بعد سنوات قليلة وانضم إلينا).

انضم إليّ الأب باولو بارچيچيا في رسالتنا بدولة بيرو عام ٢٠٠٨ (كُنت هناك منذ عام ٢٠٠١). وبعد ثلاثة أيام وصل خبر وفاة أندريا أزياني. وبعد سنوات جميلة وحافلة حقاً، اكتشف في عام ٢٠١٤ أنه مصاب بمرض التصلب الجانبي الضموري. وخلال سنوات مرضه الثلاثة، رأيته يفقد استقلاليته يوماً بعد يوم، دون أن يفقد فرحته. وفي مرحلة معينة، كان ذلك في مارس ٢٠١٦، كان عليه العودة إلى إيطاليا، حيث عدت أيضاً في أغسطس، وشاركته العمل الرعوي في رعية فلورنسا العام الأخير من حياته، وهو لم يعد قادراً على الحركة على الكرسي المتحرك، ولكن بنظرة فرح دائمة في عينيه، وبشغف بكل شيء وبكل انسان وباليقين، وكما قال، أن مرضه كان «دعوة داخل الدعوة»، وهي الطريقة التي طلب منه يسوع أن يكون فيها كاهناً ومرسلاً بصورة أكبر. في الواقع، أصبح منزلنا ميناءً بحرياً، حيث تحدث لقاءات عجيبة كل يوم. وفي بعض الأحيان كانت هناك سيدة تطبخ في منزلنا، وكانت تذهب لتفتح الباب، وتدخل العديد من الشخصيات، حتى تلك التي تظهر على شاشة التلفزيون، وتقول: «يبدو أنني في برنامج من باب لباب!» (**Porta a Porta**). يمكنك أن تتنفس العالم كله في هاتين الغرفتين. وكان يكرر في كثير من الأحيان: «الأفضل لم يأت بعد».

كان هناك المئات من الأشخاص – المئات حرفياً – الذين جاءوا ليرافقوه بالتناوب. وكل واحد جاء، في الحقيقة، لا ليساعده، بل ليساعده الرجاء الذي رآه فيه. وبعد شهرين من عودته إلى إيطاليا – كنت لا أزال في بيرو – ذهب إلى البابا فرنسيس مع أندريا بيلاندي. وعندما حياه باولو في نهاية لقاء

---

[١٣٦] رو ١٢: ١-٢؛ ٤-٥

قوي، طلب منه أن يصلي حتى يتمكن من قبول مشيئة الله كل يوم، أجاب البابا: «لا، أنا لا أصلي حتى تستطيع قبول مشيئة الله كل يوم. أنا أدعو الله أن تكون سعيداً بقبول مشيئة الله كل يوم! لقد حمل باولو دائماً هذه الكلمات في قلبه وعاشها حتى يومه الأخير. مُبشر من جحر غرفته . وأعتقد أننا جميعاً قد رأينا نفس تلك العيون السعيدة في الكثير منا، الذين في المرض والموت هم شهود الرجاء للجميع. وهكذا، برجاءنا المنظور، وبوحدتنا، التي هي أجمل وأعظم أشكال هذا الرجاء، نستجيب لتفويض يسوع، حتى نشارك في رسالته من أجل العالم.

لأنه، كما يقول الأب چوساني في كتابه «من اليوتوبيا إلى الحضور»، «الجديد هو حضور هذا الحدث من محبة جديدة وإنسانية جديدة، إنه حضور هذه البداية للعالم الجديد الذي هو نحن».[١٣٧]

وختاماً، أقرأ جزأين آخرين من ذلك الخطاب الذي لا ينسى أمام طلبة الجامعات في عام ١٩٧٦.

«الجديد هو الحضور كوعي بحمل شيء نهائي ''على كاهلنا'' – حكم نهائي على العالم، وحقيقة العالم والإنسانية – والذي يتم التعبير عنه في وحدتنا. الجديد هو الحضور كوعي بأن وحدتنا هي أداة ميلاد العالم من جديد وتحريره». ومرة أخرى: «لقد سُجن المسيحيون، واستشهدوا، وظلوا في الظلام لمدة ثلاثة قرون! نحن لم نحدد التاريخ بأزمنته. لكن الأمر متروك لنا أن نعيش الحضور: والفضل الكامل هو للامحدود الذي دخل حياتنا والذي يكشف على الفور عن ذاته كإنسانية جديدة، كصداقة، كشركة. ''لا تخف أيها القطيع الصغير، فقد غلبت العالم''. ''هذا هو الانتصار الذي يغلب العالم: إيماننا''».[١٣٨] ومنه يزدهر رجاؤنا ورجاء العالم.

شكراً لكم.

---

[١٣٧] الأب لويچي چوساني، «من اليوتوبيا إلى الحضور (١٩٧٥ – ١٩٧٨)»، بور، ميلانو ٢٠٠٦، ص ٦٥

[١٣٨] نفس الكتاب المذكور عاليه، الصفحات ٦٥ و ٦٨

القداس الإلهي

ليتورجية القداس الإلهي: سبت الأسبوع الثاني من زمن الفصح: أع٦: ١-٧؛ مز ٣٢ (٣٣)؛ يو٦: ١٦-٢١

عظة سيادة الكاردينال كيڤين چوزيف فاريل
رئيس المجلس البابوي للعلمانيين والأسرة والحياة

أيها الإخوة والأخوات الأعزاء،

ونحن نعيش فرح الفصح وفي سياق رياضاتكم الروحية، يسعدنا أن نختبر اللقاء مع الرب يسوع الحاضر في الإفخارستيا. والإنجيل الذي سمعناه يتحدث إلينا بالتحديد عن هذا اللقاء.

فبعد معجزة تكثير الأرغفة، التي حدثت بالقرب من طبرية، عَلِمَ يسوعُ أَنَّهم يَهُمُّونَ بِاختِطافِه لِيُقيموهُ مَلِكاً، فانصَرَفَ وعادَ وَحدَه إلى الجَبَل. (راجع يو٦: ١٥) وعندما حل المساء، وبعد انتظار طويل، قرر الرسل الانطلاق بمفردهم نحو كفرناحوم، المدينة الأصلية لبعضهم، حيث حدد يسوع أيضاً مكان إقامته. إنهم لا يتلقون وصية من يسوع، كما جاء في إنجيل مرقس (مر٦: ٤٥)، بل هم أنفسهم يأخذون هذه المبادرة.

بعد أن كانوا مع المعلم وساعدوه في إطعام الجموع، يحدث الآن انفصال: إذ ''يصعد'' يسوع إلى الجبل، بينما التلاميذ ''ينزلون'' إلى البحيرة. (راجع يو٦: ١٦) في هذه اللحظة بالذات، في طريق عودتهم إلى البيت، يجدون أنفسهم وحدهم، في الظلام، في وسط ''بحر'' الجليل، تهزهم الريح القوية التي تهب.

في وضع التلاميذ يمكننا أن نرى أنفسنا مرة أخرى. إذ أن ''نجاحات طبرية'' عظيمة، لكنها لا تدوم إلى الأبد! إذن لابد من العودة إلى ''الحياة الطبيعية في كفرناحوم''، حيث لكل واحد بيته الخاص، وحيث ينتظره أفراد عائلته، حيث يوجد أمن العيش. وللقيام بذلك يجب على المرء أن يواجه البحر مرة أخرى. فالبحر، في التقليد الكتابي، غالباً ما يكون رمزاً للقوى الشريرة التي يستطيع الله وحده أن يقهرها ليخلّص شعبه.

لذلك، بالنسبة لنا أيضاً - كأفراد أو كحركة - في ''عودتنا إلى الحياة الطبيعية'' مرات عديدة بعد التعزيات الروحية، وبعد النجاحات التبشيرية، وبعد الأفراح الشديدة، يمكننا أيضاً أن يحدث لنا نختبر دائماً ليس العزلة والانفصال عن المعلم فقط، ولكن أيضاً إيقاظ قوى الشر التي تبدو أنها تمحو كل لحظات النعمة التي عشناها. حسناً، في مثل هذه اللحظات بالتحديد، يحدث اللقاء.

في هذا الإنجيل، مجيء يسوع هو ظهور إلهي، وهو ظهور حضور الله ذاته. ففي الواقع، يظهر يسوع ماشياً على الماء، وهو عمل لا يُنسب أبداً إلى انسان في العهد القديم، بل إلى الله فقط كما جاء في سفر أيوب: «هو الباسِطُ السَّمَواتِ وَحدَه والسَّائِرُ على مُتونِ البَحْر» (أيو ٩: ٨).

وعندما أظهر يسوع ذاته بملء ألوهيته، «أراد التلاميذ أن يأخذوه إلى السفينة»، كما يقول الإنجيل، «وفي الحال لمست السفينة الشاطئ». وإذا كان البحر يمثل الخطر، فإن الأرض الآن تمثل الأمان. وفي اللحظة التي يكون فيها التلاميذ مستعدين لاستقبال يسوع، تلامس السفينة الأرض:

وهذا يعادل القول بأنه عندما نعترف بيسوع بألوهيته، وقبل كل شيء، عندما يقبل الانسان حضوره المخلص في حياته، ''يلمس الأرض'' في الحال، وينتقل من هيمنة الموت إلى سيادة الحياة.

هكذا يكون دائماً اللقاء مع يسوع. إنه اللقاء الذي يحمل الخلاص، الذي ينقذ الحياة من القوة المظلمة لليأس والشر والخطيئة واللامعنى. إنه لقاء يعيدنا إلى ''الأرض الثابتة''، أي إلى اليقين بأن الحياة تستند إلى أساس متين لأنها تنبع من فعل الله المُولِّد، وتقترن بعونه الأبوي والإلهي، وتتجه نحو مصير صالح. إن ''العودة إلى كفرناحوم''، أي إلى الحياة اليومية العادية، التي كانت بالنسبة لنا، كما بالنسبة للرسل، معرضة لخطر التحول إلى أزمة، تتحول بفضل اللقاء بيسوع: إذ لم تعد عودة إلى إبتذالية الوجود بدون الله، المشتتة في أمور تافهة، لكن بداية مرحلة جديدة من الرسالة، تنفتح على نعم جديدة وإلهامات جديدة، كما يروي الإنجيل التالي.

أيها الأحباء، يقوي هذا الإنجيل رجاءنا. فاللقاء بيسوع الذي أنار حياتنا وأعطى معنى لحياتنا، لا يبقى حدثاً معزولاً في الماضي. كلا! إنه يحدث دائماً من جديد. حتى الآن! حتى في أيام الرياضة الروحية هذه! ربما جاء البعض إلى هنا بظلمة والعزلة في قلوبهم، لكنهم سيعودون إلى ديارهم بنور وفرح الرفقة المكتشفة من جديد في المسيح. فالكنيسة، جماعة المؤمنين، هي البيئة ''الانسانية والإلهية''، التي أرادها الرب، حيث يمكن أن يحدث حدث النعمة هذا دائماً. وفي الكنيسة، فإن المواهب التي يثيرها الروح القدس هي بالتحديد المكان الخاص الذي يصبح فيه اللقاء بالمسيح أكثر سهولة وفي متناول كل البشر.

وموهبة حركة الشراكة والتحرر قد أعطاها الله للكنيسة أيضاً حتى يتمكن البشر من لقاء حضور المسيح المعزي في ليالي وجودهم. وموهبتكم، كغيرها في الماضي، يجب أن تُخرج قيامة المسيح مخلصنا من الماضي ومن النسيان وتجعلها قريبة وقابلة للاختبار لكل إنسان.

أنتم مدعوون جميعاً لهذه المهمة السامية ومن أجلها تلقيتم تكويناً مسيحياً. فهذا ما تحثكم موهبتكم على القيام به. لذلك من المهم للغاية الحفاظ على وحدة الشركة الروحية التي خلقها الروح القدس بينكم. إذ يصف الإنجيل التلاميذ الذين استقبلوا معاً، كجسد واحد، يسوع في السفينة. حتى أن قداسة البابا في رسالته الأخيرة التي وجهها إليكم في شخص الرئيس، حثكم على الاعتزاز والعناية بالوحدة. إنها عطيّة يجب أن تُستحضر في الصلاة وأن تتحقق في الحياة من خلال ممارسة التواضع، ووضع الرغبة في تأكيد الذات والآراء الخاصة في المرتبة الثانية، والتخلي عن مطابقة الكاريزما (موهبة الروح القدس) مع القناعات الشخصية أو حتى مع الشخص ذاته، لأن الكاريزما هي دائماً أكبر من فكرة واحدة فقط، وهي دائماً أكبر من شخص واحد فقط، وهي دائماً أكبر من جيل واحد أو فترة تاريخية واحدة، حتى لو كان ذلك في البدايات. إن الكاريزما هي أيضاً أعظم من المؤسس الذي نالها من أجل خير الكنيسة كلها.

لذلك دعونا نتضرع إلى الرب، في هذه الأيام، حتى تتعزوا جميعاً بلقاء جديد مع المسيح القائم من بين الأموات وأن تكونوا مبشرين وحاملي السلام في خضم العديد من الصراعات والتوترات التي تصيب العالم. لنصلّي من أجل أن تبقى أخوية الشراكة والتحرر دائماً مكاناً مباركاً لاكتشاف جمال الإيمان لآلاف الأشخاص، وأن تُحفظ في الوحدة للقيام بالرسالة التي أوكلها الرب إليها. من أجل هذا كله نلجأ إلى معونة مريم، أم الرجاء، حامية وحدة الكنيسة. آمين.

قبل منح البركة الختامية للقداس الإلهي

داڤيدي بروسبيري. سيادتكم، اسمحوا لي أن أتقدم لكم بالشكر الجزيل. إن حضوركم وكلماتكم في الرياضة الروحية للأخوية العام الماضي كان بمثابة عزاء كبير لنا وعلامة واضحة على يقين مسيرتنا في الكنيسة، كما دعمتنا في إدراك المسؤولية التي نحن مدعوون إليها من أجل بناء منزلنا المشترك. وموافقتكم على العودة هذا العام رغم التزاماتكم العديدة والالحاحات التي تأتي في هذه اللحظة بالذات من حياة الكنيسة، هي بالنسبة لنا دعم إضافي للرجاء وتثبيت في الطريق الذي نسير فيه، بالإضافة إلى الاستشهاد برسالة قداسة البابا في عظتكم التي ذكرتمونا بها. ومن جانبنا، كما قلنا لكم في العام الماضي، نحن جاهزون ومستعدون، مرة أخرى، وأكثر من ذلك، نحن جاهزون لتلبية جميع الاحتياجات التي تشعر الكنيسة بأنها ملحة في هذه اللحظة. نحن موجودون فقط لهذا. شكراً سيادة الكاردينال.

الكاردينال فاريل. في البداية، أود أن أشكركم جميعاً على إصغائكم الصبور. إنه جزء من الرياضة الروحية تقديم بعض التضحيات الصغيرة. واليوم يمكنني أن أشهد للكنيسة كلها أنكم قدمتم جميعاً تضحية كبيرة في الإصغاء إلى لغتي الإيطالية!

أحمل لكم تحيات قداسة البابا. وبسبب الأمور العديدة المتعلقة بمهام عملي في الكرسي الرسولي، ألتقي به بانتظام، ويجب أن أعترف أنه في كل مرة يسألني في اجتماعاتنا: «كيف حال أخوية الشراكة والتحرر»؟ بعد قضاء هذا اليوم معكم، يمكنني أن أعود إلى روما وأقول له أن أكثر من عشرين ألف شخص حضروا هذا العام في الرياضة الروحية بريميني. عدد عظيم حقاً! حتى أكبر من عدد الأشخاص الذين حضروا العديد من لقاءات الأربعاء في ساحة القديس بطرس... لا أعرف ماذا سيكون رد فعله عندما أخبره!

أريد أن أشكركم من أعماق قلبي على كل ما تفعلونه. أنتم إحدى الحركات، من بين الحركات التي أعرفها، القادرة اليوم على إسماع صوت عشرين ألف شخص في المجتمع. أنتم حقاً شعب كبير! لهذا السبب من المهم جداً أن يتبع الجميع كاريزمة الأب جوساني ويستمرون في اتباعها، وأن يعيشوا وفقاً لهذه الموهبة في قلب واقع عالم اليوم.

أشكركم على كل ما تفعلونه كل يوم.

صباح الأحد ١٤ إبريل ٢٠٢٤

موسيقى لودفيج فان بيتهوفن
كونشرتو ثلاثي بمقام دي ماچور للبيانو والكمان وڤيولونتشيللو والأوركسترا، مصنف ٥٦
ثلاثي الفنون الجميلة
جيواندهاوسورشيستر لايبزيج – كورت ماسور
الروح اللطيف ٣١، (فيليبس) يونيفرسال

صلاة التبشير الملائكي

صلوات الصباح

الإجتماع العام

داڤيدي بروسبيري. حسناً، لقد وصلنا إلى نهاية هذه الرياضة الروحية، والتي كانت بالتأكيد لحظة قوية لمسيرتنا هذا العام. ومع كل ما تطلبه الأمر، كما قلنا منذ البداية، من تضحيات لأن التنقلات كانت متعبة حقاً في كثير من الأحيان، تمكَّنا من عيش خبرة ذات قدر أكبر مما لدينا. وكان هذا واضحاً للجميع، وسمعناه بالأمس أيضاً على لسان الكاردينال فاريل. وأثناء العشاء، أراد أن يكرر مفاجئته ودهشته من رؤية عشرين ألف شخص مجتمعين هنا، بالإضافة إلى كل أولئك الذين يتابعوننا من المنازل أو من أماكن أخرى: قال إنه معجب جداً بأن عشرين ألفًا منا وجدنا أنفسنا جميعاً معاً من أجل الرياضة الروحية. بهذه الطريقة، مع الصمت، والانتباه، والمشاركة التي توضح أن الفعالية لا تعتمد فقط على ما يقال – مهما كانت أهميته واضحة – ولكن على المساهمة التي يقدمها كل واحد منا.

هذه هي الحقيقة الأولى التي، عند عودتنا إلى بيوتنا، تملأ قلوبنا فرحاً ويقيناً.

لنبدأ هذا الاجتماع العام يا مونسينيور چوڤاني.

مونسينيور چوڤاني باكوزي. وصلت أسئلة كثيرة. لقد قام البعض منا بقراءتها جميعاً، وحدد منها الأسئلة الأكثر تكراراً وتمثيلاً.

(السؤال الأول) «بالحديث عن الرغبة، هل يمكنك توضيح الفرق بين كونك «حلماً» أو «علامة»؟ هل الرغبات الصغيرة في كل يوم تساعد حقاً في التعرف على الرغبة العميقة الفريدة التي تحدد هويتنا؟ يبدو لي أنهما في تناقض».

مونسينيور باكوزي. تتبادر إلى ذهني صفحة جميلة مأخوذة من حوار الأب چوساني مع طلاب المدارس الثانوية – والذي كنت حاضرا فيه مع مجموعة كبيرة من شبيبة طلبة (GS) فلورنسا في التسعينيات – والذي صدر بعنوان «ما وراء جدار الأحلام» في الواقع وفترة الشباب والتحدي.[١٣٩] ويقارن الأب چوساني بين الحلم والرغبة الحقيقية التي تؤدي إلى الانتظار. وهو يعرّف الرغبة بأنها إنتظار لتحقق أعظم بكلمة «أحد المثل العليا». لن أقرأ الآن كلمات الأب چوساني، لكني أدعوكم لقراءتها مرة أخرى لأنني أعتقد أنها تقدم مساعدة هامة جداً.

في نص الدرس الأول الذي قمت بإعداده، عند النقطة التي اقتبست فيها مقطعاً صغيراً من الشاعر دانتي الذي قرأته لكم، قارنت طريقة فهم الرغبة عند دانتي وبترارك. كان من الممكن أن أتحدث إليكم عن ذلك بالأمس لفترة طويلة، لكني أريد أن أقول لكم شيئاً هذا الصباح، لأنه يبدو لي أنه يساعدنا على فهم كيف تحول الرجاء المسيحي إلى رجاء موضوع فقط في قدرات الإنسان.

يتحدث البابا بندكتوس السادس عشر الطيب الذكر في رسالته البابوية العامة «بالرجاء مخلَّصون» (Spe Salvi) عن الرجاء في التقدم، الذي يمكننا جميعاً أن نجد أنفسنا فيه، لأنه ما يجعلنا ننتظر أحدث موديل هاتف محمول، وأحدث جيل من الأجهزة الطرفية، كما لو كان الحصول على ذلك هو أعظم شيء يمكن أن نرغبه. من بين أمور أخرى، على سبيل المثال، يجعلني أبتسم كيف تركز إعلانات السيارات بشكل كامل على حقيقة أنها متصلة بالإنترنت. حسناً، ولكن قبل كل شيء، يجب أن تتمتع السيارة بمحرك جيد، وأن تحافظ على الطريق جيداً وتستهلك القليل من الوقود! أما اليوم، فيُقاس التقدم من خلال الاتصال بالإنترنت! يتحدث البابا بندكتوس السادس عشر عن التقدم الذي، إذا كان للخير، يصبح عوناً للجميع. لكنه بعد ذلك يقول شيئاً جميلاً: «التقدم الإضافي ممكن فقط في المجال المادي»، والتقني والعلمي، فيبدأ الجميع من حيث وصل الذين سبقوهم. لقد قالها أهل العصور الوسطى بالفعل: «نحن أقزام نقف على أكتاف العمالقة، ولهذا السبب نرى أبعد».[١٤٠] لكن تقدم الإنسان وحريته لا يتم بهذه الطريقة: «لكن في سياق الوعي الأخلاقي والقرار الأخلاقي ليس هناك إمكانية مماثلة للإضافة لسبب بسيط وهو أن حرية الإنسان هي دائماً جديدة ويجب دائماً أن يتخذ قراراته من جديد»،[١٤١] أي أن على كل إنسان أن يبدأ دائماً من جديد.

يبدأ وهم وضع الرجاء في ما تنتجه أيدينا، التي هي في الواقع أحلام، منذ نهاية العصور الوسطى. وفي كتاب «لماذا الكنيسة؟» يقارن الأب چوساني بين دانتي وبترارك ليُظهر كيف أن طريقة فهم العلاقة مع الله تتغير على وجه التحديد في مسألة الرغبة. عندما كنت لا أزال في دولة بيرو وأقوم بالتدريس في الجامعة، حاولت إجراء مقارنة بين بعض النصوص. على سبيل المثال، بالإضافة إلى

---

[١٣٩] الأب لويجي چوساني، «الواقع وفترة الشباب ...»، كتاب سبق الاستشهاد به، الصفحات ٥٧-٧٠

[١٤٠] برناردو دي شارتر (القرن الثاني عشر) في چوڤاني دي ساليسبوري، «ميتالوچيكون»، المجلد الثالث ص ٤

[١٤١] البابا بندكتوس السادس عشر، الرسالة البابوية العامة «بالرجاء مخلصون»، رقم ٢٤

المقطع المتعلق بـ «النفس البسيطة» الذي قرأته لكم بالأمس، يقول الشاعر دانتي في أحد مؤلفاته التي تحمل عنوان «الوليمة» (Convivio): «إن أسمى رغبة لكل شيء، والتي أعطتها الطبيعة أولاً، هي العودة إلى بدايتها»، [١٤٢] أي أننا مخلوقون بالرغبة في العودة إلى الله، لأنه هو الذي صنعنا، هو الذي صنعنا لذاته. ومثل الحاج – وهذا المثال جميل – الذي يسير في طريق لم يسلكه من قبل، فكل بيت يراه من بعيد يتمنى أن يكون هو الفندق، وعندما يصل إليه يدرك أنه ليس هو، ثم ينظر إلى بيت آخر فيعتقد أن الفندق هو ذلك البيت. وهكذا، من منزل إلى منزل، وفي النهاية يصل فعلاً إلى الفندق. هكذا هي نفسنا: ما إن تدخل في طريق الحياة الجديدة وغير المصنوعة حتى ترفع عينيها وتريد أن تصل إلى خيرها الأسمى، أي الله. ولكنها تعتقد أن كل شيء تراه هو الخير الذي تنشده. ولأن معرفتها السابقة ناقصة – ولأن لا خبرة لديها ولم تتعلم مطلقاً – فإن الخيرات الصغيرة تبدو لها عظيمة فتبدأ بالرغبة فيها. هكذا نرى الأطفال يرغبون في تفاحة بشكل غير عادي. وبعد ذلك، يذهبون إلى أبعد من ذلك، فيرغبون في طائر. ثم، يذهبون إلى أبعد من ذلك، فيرغبون في ملبس جميل. ثم يرغبون في حصاناً – ولعلنا نقول اليوم عندما يكبرون أنهم يرغبون في اقتناء دراجة نارية أو سيارة. ثم امرأة. ثم ثروة ليست كبيرة. ثم ثروة أعظم، ثم أعظم من ذلك. وكل هذا يحدث لأنه لا يجد في أي من هذه الأشياء ما يبحث عنه. ويظن أنه سيجده بالمضي إلى أبعد من ذلك. لأنه يرى، كما يقول دانتي، أن كل شيء نرغب فيه يوجد قبل الشيء الآخر. ويستخدم صورة الهرم، لذلك تتجه الخيرات المتوسطة نحو القاعدة التي هي الله. فالخير الأول الأصغر هو مثل قمة الهرم، ولكن لأنها أمامنا فإنها لا تُظهر لنا باقي الأشياء. ثم ننتقل إلى ما هو أكبر، ثم إلى ما هو أكبر، ثم إلى ما هو أكبر، ثم إلى ما هو أكبر، ثم إلى ما هو أكبر، ثم إلى ما هو أكبر، ثم إلى ما هو أكبر، إلى أن ندرك أن آخر رغباتنا هو الله الذي هو قاعدة كل شيء. وهكذا، عندما ننتقل من قمة الهرم إلى قاعدته، تبدو المرغوبات أكبر وأكبر. وهذا هو السبب في أنه ونحن نسير في طريق حياتنا تكون رغباتنا أكبر فأكبر، الواحدة تلو الأخرى. ولكن ما أجمل ذلك!

وعلى مثال دانتي، يقول الأب چوساني إنه لا يجب اختزال الرغبات ولا يجب إخفاؤها. إذ على المرء أن يدرك أنها علامات تشير إلى الخير العظيم الذي خُلقنا من أجله، أي الله. وهنا تكمن العظمة. وقد خطر ببالي وأنا أستمع إلى أغنية أنس (Anas) – إذ لم أنتبه إليها من قبل –: كان الرسل في القارب يصطادون ولم يصطادوا شيئاً، ولكن يسوع كان على الشاطئ. وهو الذي يملأ قلوبهم. إن رجاءهم هناك، على الشاطئ، إنه هو. هكذا نحن أيضاً في وسط البحر، لكن رجاءنا هو هذا الحضور أمام أعيننا. بالمناسبة، الطريقة التي غنينا بها كانت احتفالاً. كان احتفالاً بالاعتراف بحضوره وسطنا.

لا يزال دانتي يفهم الرغبة بطريقة مسيحية، كعلامة. أما شخصية بترارك (Petrarca)، فهي على العكس من ذلك، إذ نضعها في بداية عملية «التفكك» التي غيرت مسار التاريخ الغربي. إذ يرى بترارك الرغبة كشيء يقوده بعيداً عن الله. فهو يعيش حالة من «الانفصال» في حبه للورا (Laura)، التي يشعر بأنها شيء يسجنه تماماً، كبديل جذري للبحث عن الحقيقة، أي عن الله. وتجعله لورا يكتشف المسافة بين الحقيقة التي يعترف بها نظرياً، والشهوة التي تجذبه بعيداً عن تلك الحقيقة.

هناك قصيدة شعرية قصيرة أكررها بكلماتي: إن لم يكن الحب هو ما أشعر به، فما هو؟ ولكن إذا كان هو الحب، فإن كان هذا الحب خيراً، فلماذا يكون أثره سيئاً، مميتاً؟ وإذا كان شيئاً شريراً وجُرماً،

---

[١٤٢] دانتي أليجييري، «الوليمة»، المجلد الرابع، الفصل الثاني عشر

فلماذا يكون عذاب الحبّ حلواً جداً؟ وإن كنتُ ألتهب برغبتي هذه، فلماذا تجعلني أبكي وأنوح؟ وَإِنْ كَانَتْ شَرًّا عَلَيَّ، فَلِمَاذَا إِذًا أَرْثِي لِفَقْدِهَا؟ «أَيُّهَا الْمَوْتُ الْحَيُّ، أَيُّهَا الشَّرُّ الْمُبْهِجُ، / كَيْفَ أَنْتَ فِيَّ هَكَذَا، وأنا لم أسمح لك بذلك؟» أَيُّهَا الشَّرُّ الْحَبِيبُ! كَيْفَ يَكُونُ الشَّرُّ مُبْهِجاً؟ هنا الخداع، أي أن أعتقد أن مشروعي أكبر من موضوعية الخير والشر، أي أن أعتقد أن مشروعي أكبر من موضوعية الخير والشر. ويستطرد قائلاً: إذا كنتُ أسعى وراء الشر، فلماذا أشتكي منه؟ إن وجدتُ نفسي على متن قارب هش في أعالي البحار وسط رياحٍ مُضادة لا توجّهني، وإن كانت كل معرفة مشحونة بالخطأ، فلا أعرف بعدُ ما أريد. وأنا أرتجف في وسط الصيف – فكروا يا له من شيء لا يصدق: أرتجف في الصيف – وأحترق في الشتاء.[١٤٣]

كل ذلك تناقض بين ما يظن أنه يحقق رغبة قلبه وبين ما يحققها حقاً. ثم يذهب بترارك إلى حد القول بشيءٍ فظيع: إنني أطمع بشدة في الحقيقة، ولكن بما أنه من الصعب العثور عليها ولست قادراً على البحث عنها جيداً، فإنني في كثير من الأحيان، وأنا في ثقة من نفسي، وكي لا أخطئ، أتمسك بالشك، واضعاً إياه محل الحقيقة. لكنني أدرك أنني بهذه الطريقة، وشيئاً فشيئاً، أصبحت أكاديمياً (أي مفكراً ومثقفاً) وبعد كثيرين غيري وصلت أنا أيضًا إلى صفوف المتواضعين الذين لا يعرفون شيئاً لأنهم لا يملكون شيئاً يقينياً، ويشكّون في كل شيء. ويقول: «إنني أشك في كل شيء، ما عدا تلك الأشياء التي أعلم أن الشك فيها سيكون تدنيساً للمقدسات».[١٤٤]

ربما رغب بترارك في أن لا يرغب حتى لا يشعر بأنه سجين الخطأ. إذ نرى فيه، ولأول مرة في الثقافة الغربية، المسافة بين الخير «الروحي»، الأسمى ولكن البعيد، والخيرات «الدنيوية» الزائفة لكنها أكثر جاذبية.

وهنا يبدو لي أننا غالباً ما نعيش علاقتنا مع الإيمان بهذه الطريقة، بحيث لا نشك في الله، لأنك لا تستطيع أن تشك في الله من الناحية الأخلاقية إلى حد ما، إلا أنك في الواقع تشُك فيه إذا اختزلته في صورة مجردة منفصلة عن حياتك.

قال ماريو لوتزي (Mario Luzi) في مؤتمر في فلورنسا: «إن أحد الجوانب التي تجعل دانتي استثنائياً [...] هو هذا بالتحديد: أن الشخصية النموذجية التي تسمى في الكوميديا دانتي هو شخصية مثالية يثبتها الفرد الانساني الذي يدعى دانتي في الحياة والوجود والتاريخ. يمكننا القول بأن هناك مصادفة عجيبة حقاً بين الابتكار والاعتراف». إذ يتعلق الأمر «بمصادفة عجيبة بين الشخصية والمؤلف».[١٤٥]

لكن يبدأ بترارك بإسقاط عالم الحلم الذي لا وجود له في الواقع في الأدب، وهو يفعل ذلك على أساس هذا النوع من المنطق: بما أنني في الواقع لست متأكداً من أي شيء، فعلى الأقل أخلق عالماً مثالياً

---

[١٤٣] «إِنْ لَمْ يَكُنِ حُبًّا فَمَا الذي أُحِسُّهُ؟ / وَإِنْ كَانَ الْحُبُّ يَا إِلَهِي فَمَاذَا وَأي حب هذا؟ / إِنْ كَانَ خَيْرًا فَمِنْ أَيْنَ الْمَرَارَةُ الْفَائِقَةُ / وَإِنْ كَانَ شَرًّا فَمِنْ أَيْنَ الْعَذَابُ الْحُلْوُ كُلُّهُ / وَإِنْ كُنْتُ أَحْتَرِقُ فِي هَوَايَ فَمِنْ أَيْنَ الْبُكَاءُ وَالنَّدْبُ / وَإِنْ كَانَ لِسُوءِ حَالِي فَمَاذَا يَسْتَحِقُّ النَّدْبُ والبكاء؟ / أيها الموت الحيّ، أيها الشرّ المبهج / كيف تفعل بي هكذا، إن لم أرضَ وإن رضيتُ فأنا مظلومٌ جدًّا / بين هذه الرياح المضادة في قارب هش أجد نفسي في بحرٍ عالٍ بلادفة توجهني / / قليل المعرفة جدًّا، مليء بالخطأ / حتى إني لا أعرف ما أريد، / وأرتجف في وسط الصيف وألتهب في الشتاء. (بترارك، القصيدة ١٣٢)

[١٤٤] «أنا حريص جدًا على الحقيقة. ولأنه من الصعب العثور عليه، وأنا لست ماهرًا جدًا في البحث عنها، وغالبًا ما لا أثق بنفسي، وأهرب من الخطأ وأتشبث بالشك، وأضعه في مكان الحقيقة. وهكذا، شيئًا فشيئًا، أصبحت أكاديميًا، وبعد العديد والعديد من الآخرين، انضممت أخيرًا إلى المرتبة الأكثر تواضعًا، لا أعرف شيئًا، ولا أؤمن بأي شيء يقيني، وأشك في كل شيء، باستثناء تلك الأشياء التي أعرفها لأن الشك فيها هو تدنيس للمقدسات» (بترارك، «ترهات»، القصيدة ٥، الجزء ٦).

[١٤٥] ماريو لوتزي، «غني لي شيئاً يساوي الحياة»، دار النشر "الرفقة الجديدة"، فورلي ١٩٩٦، الصفحات ٥٢-٥٣

تسير فيه الأمور كما أريدها أن تسير. وعلق لوتزي على ذلك بقوله: «بأن الأدب الأوروبي [العالمي، يمكننا القول] يجب أن نعترف بأن الأدب الأوروبي ينطلق من بترارك أكثر بكثير من أي مؤلف آخر».[١٤٦] ولم يكن لدانتي أتباع مثل إليوت (Eliot) وأونجاريتي (Ungaretti) ولوتزي نفسه؛ فالأدب بالنسبة لهم، كما هو الحال بالنسبة لدانتي، ليس وسيلة للهروب من الواقع إلى عالم الأحلام، بل هو وسيلة لإيجاد معنى للواقع، وبالتالي الذهاب إلى نهاية الطريق، إلى نهاية طريق الرغبة.

هناك قصيدة لأونجاريتي جعلتني أحفظ دادو بيلوسو (Dado Peluso) عن ظهر قلب، والتي تقول: «إن الشِعر [بالنسبة لي] هو العالم والإنسانية وحياتنا التي تزدهر بالكلمات، والأعجوبة الصافية للعواطف الجياشة. وعندما أجد في صمتي هذا كلمة محفورة هي في حياتي كالهاوية»،[١٤٧] وهذا يعني بالنسبة لي: أنني أريد أن أفهم معنى الواقع، وكل كلمة أقولها ليست صوتاً في مهب الريح، بل تعَبِّر عن الرغبة في الوصول إلى النهاية وإلى الحقيقة وإلى الخير الذي تدعوني إليه كل رغبة.

ونحن لدينا النعمة التي تمكننا من أن نكون في هذا الموضع، لأنه لدينا المِرساة المُلقاة على شاطئ الأبدية، لأن الأبدي قد جاء بيننا. لذلك لم يعد من الضروري أن نحلم، يكفي أن نكون في الواقع منتظرين تحقيق الذات الذي يمكن لآخر (الله) أن يعطينا إياه.

دافيدي بروسبيري. أود أن أؤكد على ما قاله مونسينيور چوڤاني للتو. لأننا نحن أبناء، من الناحية الثقافية، أبناء تاريخ دام قروناً طويلة، وغيّر بشكل عميق عقلية الإنسان وعلاقته بالواقع. لذلك نفهم لماذا نحن بحاجة ماسة إلى التعليم. إذ يسأل الأب چوساني في مدرسة الجماعة: ما هي العلامة؟ «العلامة هي واقع معناه واقع آخر، واقع يمكننا اختباره ويكتسب معناه من خلال إرشاده إلى واقع آخر».[١٤٨] لذلك فالعلاقة مع العلامة مهمة، وكذلك التعلُّق بالعلامة كعلامة من أجل امتلاك الكل، أي الواقع كله، بما في ذلك الواقع الذي لا نراه. والجانب المدهش هو أنه في العلاقة مع الواقع كعلامة تظهر الإنسانية بالكامل. لأن دور الإنسان الحقيقي لا يكمن فقط في التعلق بالأشياء من أجل العاطفة التي تثيرها فينا، بل في تفسير العلامة، أي في المسيرة التي يبدأ الانسان السير فيها متبعاً الاتجاه الذي تشير إليه العلامة. لذلك تصبح العلامة مهمة جداً ورفيقة الطريق وحاسمة جداً لحياة الانسان، وهي لا تستنفذ نفسها في ذاتها، بل تصبح الطريق المُعطى لي لتجعل من نفسها معروفة من خلال ما كان سيبقى سراً لا يمكن فهمه.

العلامة تصبح حلماً عندما تُخلي نفسها من العلاقة مع الذي يجعلها كذلك، والذي يؤسس قيمتها. ولماذا يمكن أن نقول إنها تُختزل إلى حلم؟ لأنه لا يتحقق، لأنه يخيب حتماً آمالنا لأن الواقع هو أكثر مما نراه.

(السؤال الثاني) «كيف يمكن للانسان أن يتحلى بالرجاء في المواقف التي يبدو فيها الشر والألم هو صاحب اليد العليا بسبب حتمية الظروف؟ وكيف يمكن له أن يظل قوياً في رجائه عندما يترك فيه الشر آثاراً غائرة طويلة الأمد؟ ثم، «الرجاء لا يخيب»: كيف يكون هذا صحيحاً وحقيقياً في

---

[١٤٦] نفس الكتاب المذكور عاليه، الصفحات ٥٤-٥٥

[١٤٧] ج. أونجاريتي (Giuseppe Ungaretti)، «وداع»، لوكڤيتسا، ٢ أكتوبر ١٩١٦

[١٤٨] الأب لويچي چوساني، «الحس الديني»، كتاب سبق الاستشهاد به، ص ١٥٥

مواجهة الألم وفي مواجهة الموت وفي مواجهة هذه الظروف المأساوية للحياة وفي مواجهة الحرب وفي مواجهة كل هذه الموجات من الصواريخ التي تجعل الوضع في العالم أكثر مأساوية؟

كل شيء في الحياة يشير إلى آخر، وفي الوقت نفسه، ليس هناك شيء يشبع تماماً الرغبة في تحقيق الذات. وكلما اختبرت هذا، كلما ازدادت غلبة الحزن أو الحنين إلى ميناء الوصول على الفرح. إنه نوع من الرجاء الحزين. ما معنى أن تكون فرحاً حقاً؟».

دافيدي بروسبيري. صحيح أن الشر والألم يبدوان أحياناً وكأن لهما اليد العليا والهيمنة علينا، خاصةً عندما يختبرهما الانسان ولا يرى مخرجاً واضحاً، أي عندما تتحطم كل الآمال التي كنا نعلق عليها تطلعاتنا الانسانية، وعندما يبدو أن كل ما نعوّل عليه عادةً ينهار. لماذا الشر والألم؟ في الواقع، إنهما بعدان مترابطان لكنهما مختلفان، لأن هناك الشر الذي نعانيه، الظلم، الذي له علاقة بخبرة الألم واللامعنى، لكن هناك أيضاً الشر الذي نفعله، الشر الذي نجده في أنفسنا. لدرجة أنه، كما كنا نقول في الأمسية الأولى، إذا كانت هناك صفة مأساوية إلى حد ما في عصرنا، فهي بالتحديد عدم القدرة على مواجهة وقبول شرورنا. إن الشر الأعظم في عصرنا ليس ألم المرض الجسدي؛ في الواقع، مهما كانت خطورته، ومهما جرّنا إلى متاعب لا توصف، وكم من الشهادات التي لدينا، حتى البطولية منها، لأناس يواجهون ألم الشر الجسدي! إن الشر الحقيقي اليوم هو قبل كل شيء شر الحياة. لأنه في الشر الجسدي، حتى في ألم المحنة الأشد خطورة، يشعر الانسان على الفور بالحاجة إلى من ينقذه، وبالحاجة إلى آخر يأتي ليخلصني، وبالحاجة إلى من يقبل تضحيتي.

ولكن عندما نفقد هذا الرجاء، وعندما يبدأ الشعور يسود فينا بأن الأمور لم تعد قابلة للتغيير وأن السعادة الموعودة قد ضاعت إلى الأبد بلاعودة إلى الوراء. وعندما ينتهي بنا الأمر بالانكفاء على ذواتنا لأننا نشعر بأننا مخطئون، ولأننا نعتقد أنه لا يمكن لأحد أن يأتي حقاً ليخلّصنا، كيف يمكن أن يكون الفرح ممكناً؟ لقد تعلّمنا أن الفرح – كما اعتاد الأب چوساني أن يقول لنا – هو الشعور الذي يولد عندما نقف على ما يبقى عندما يمرّ كل شيء. وعندما يمرّ كل شيء نرى الأشياء تمضي، نرى أنفسنا أيضاً تمضي، لأننا نكبر في السن، تتسلل إلينا الأوجاع والآلام، والصعوبات والأحداث غير المتوقّعة، والتي ليست دائماً إيجابيّة، والتي أحياناً ما توقعنا في المشاكل، فتبدو الحياة التي كانت مليئة بالوعود فجأة وكأنها تتجه نحو أفق من الفشل والهزيمة والدمار.

وعندما يحدث كل هذا، فإن أول تجربة تواجهنا هي أن نحول نظرنا عن ما هو موجود والذي مهما كان هشاً هو علامة رفقة من يريدك ويقول لك: «أنا معك، أنا ما زلت و سأظل دائماً معك. يمكنك البدء من جديد، إذ أن مصيرك في النهاية هو خير» بينما نركز نظرنا على سؤال متشكك: «كيف يمكن أن ينتهي مصيري إلى خير؟ ويبدو لنا كل شيء وكأنه مأساة، لأننا لم نعد نملك أي شيء في أيدينا، وانهارت كل الآمال التي بنيناها لمحاولة السير إلى الأمام على أي حال. لكن عندما تنهار كل الآمال، يمكن في تلك اللحظة بالتحديد أن يولد الرجاء الحقيقي، إذا كان مصدر الرجاء حياً فينا: الإيمان. فعندما يكون هناك إيمان كمصدر للرجاء، عندئذٍ يولد الرجاء، وينبعث من جديد. ليس كصورة معلّقة في الهواء تقول: «كل شيء سيكون على ما يرام!»، تلك الكتابة التي ظهرت على النوافذ أثناء فترة الإغلاق بسبب جائحة كورونا، كما نتذكر جميعاً. لماذا يجب أن يكون كل شيء على ما يرام؟

هل هو التفاؤل والشجاعة والرجاء؟ لا، الرجاء هو شيء آخر: ومن وجهة نظر معينة هو نقيض التفاؤل. فالتفاؤل هو عندما يضع الانسان ثقته في مستقبل لا يزال يعتمد علينا: «سيكون الأمر صعباً ولكن ستكون لنا الغلبة في النهاية»؛ أو في قدرية غير متفاعلة مع الدليل الذي أُعطي لنا. ولكن ليس هناك انتظار لإله قادر على خلاص حياتي، بإعطائي الخير الذي أشعر أنه ضائع. أما الرجاء هو أن تضع كل نفسك على كل ما أُعطي لك الآن، لأنك تستطيع أن تراهن على أن الذي يعطيك إياه سيحقق لك الوعد بشكل سري، بحسب تدبير ليس من تدبيرك، فيعطيك أكثر مما كان لديك. لأن هذا هو الوعد الذي يتحقق حسب مقياس آخر: مائة ضعف أكثر مما تظن أنك قد فقدته!

أتذكر عندما مات أبي، كنت صغيراً، كنت في السادسة من عمري. كنا شقيقين، أمي جاءت من خارج ميلانو، ولدت ونشأت في أولتريبو بافيز (**Oltrepò pavese**)، وأبي جاء من توسكانا (**Toscana**)، ولم نكن نعرف أحداً في ميلانو تقريباً. لكنني لم أنظر أبداً إلى الحياة – يمكنني أن أقول هذا الآن، وأنا أنظر إلى الوراء – على أنها سلبية. لقد حملت الكثير من الجراح طوال حياتي، لكنني لم أشعر أبداً أن وجودي كان سلبياً، لأن والدتي كانت أمامي والتي كان الواقع بالنسبة لها إيجابي، وما يجعل الواقع إيجابياً هو الإيمان. فبعد وفاة والدي، كان عليها أن تذهب للعمل. ووجدت عملاً في مدرسة، وهي أول مدرسة أنشأها الأعضاء الكبار بالحركة في ميلانو، مدرسة زولا (**Zolla**). وبفضل ذلك التقينا بالحركة. بالتأكيد لم أكن لأكون هنا اليوم لولا هذا التسلسل في الأحداث. هل يمكنني القول أن موت والدي كان أمراً جيداً؟ لا، لقد حملت الجراح معي. كما أنشدنا في البداية، حتى الله عانى وتألم. لكن يمكنني أن أقول إنه كان من أجل الفرح، من أجل مائة ضعف، من أجل شيء لم أكن أتخيله.

نحن مطالبون بقبول هذا الرهان. إنه ليس رهاناً أعمى، إنه رهان على ما أُعطِيَ لنا. فلتبقى على ما أُعطِيَ لك.

مونسينيور چوڤاني باكوزي. أريد أن أضيف شيئاً واحداً، لأن في السؤال الثاني، في رأيي، هناك شيء من الخداع، فلنقل: «كلما اختبرت هذا [أن كل شيء يشير إلى آخر]، كلما غلب الحزن أو الحنين إلى ميناء الوصول على الفرح. إنه نوع من الرجاء الحزين». لذلك أود أن أقلب العبارة وأقول إنه نوع من الحزن المليء بالرجاء، والفرح. ولأن هناك حدود، وهناك هشاشة في الأشياء، كيف إذن لا نرى ذلك؟ لكن في داخل كل ذلك هناك وعد، كما قلنا في بداية خريطة مسيرتنا، مطبوع داخل أصل كياننا، وهذا يملؤنا بالفرح لأن الوعد موجود.

فكروا في إبراهيم، أبو إيماننا. بالطبع، ليس الأمر أنه عندما صعد الجبل مع إسحق كان سعيداً، لكنه كان ممتلئاً بالرجاء. سأله ابنه: «لدينا الحطب والسكين والنار للمحرقة ولكن أين الضحية؟»، فيجيبه إبراهيم: «على الله التدبير»، لأنه لم يعد يملك شيئاً من عنده. وكم كان يجب أن يكون قد ملأه الفرح عندما أدرك أن الله لم يكن يريد تلك الذبيحة التي، في ثقافة ذلك الزمان، كان الكثيرون يمارسونها للأسف.

إذن، هناك حزن حتى في حياتنا، لكنه فرح لأن هناك حضوراً كما قال دافيدي. سأروي حادثة تأثرت به إلى درجة أنني لم ولن أنساه طوال حياتي. في الأبرشية التي كنت أذهب إليها عندما كنت كاهناً شاباً في الثلاثين من عمري، كان هناك زوجان؛ كانا يبدوان كخطيبين يحبان الواحد الآخر، رغم أنهما في

الأربعين من عمرهما؛ فقد كانا دائماً يسيران سوياً ويركبان الدراجات معاً. وفي إحدى المرات، بينما كانا يركبان دراجاتيهما، صدمت سيارة الزوج ومات. وكانت مأساة فظيعة حقاً. وبعد بضعة أشهر، جاءتني زوجته وقالت لي: «اسمع يا أبونا چوڤاني، هناك شيء أريد أن أخبرك به ولا أستطيع أن أخبره لأحد، لكن ربما تفهمني أنت». فقالت لي: «في الحقيقة أنا أشكر الله لأنه أخذ مني زوجي. أنت تفهم ما أعنيه وتعلم أن حبه كان كل شيء بالنسبة لي. ولكن طالما كان زوجي موجوداً، كنتُ ألقي بكل مسؤوليات حياتي عليه، فقد كان يهتم بكل شيء. لم أكن أتحمل مسؤولية أي شيء، كنت أعيش في عالم الأحلام. ولكن بعد وفاته اضطررت إلى تحمل مسؤولية نفسي وعائلتي وكل شيء، وأدركت أن هذا جعلني أنضج كإنسانة». وأضافت: «وفي نفس الوقت أتألم لأن زوجي ليس هنا، لكنني أدرك أيضاً أن مماته يدخل ضمن خطة أكبر، إنه من أجل الخير. إنه بالفعل في الأبدية وأنا على طبيعتي أكثر». وختمت: «أنا أقول هذا لك أنت فقط». إن هذا صحيح تماماً. وبالطبع، لا يمكن لنا أن نعمم، ولكن لكي نفهم أنه من الممكن أن نعيش هكذا، ما علينا سوى النظر إلى وجوه الذين يعيشون مواقف مؤلمة بإيمان. فعندما يعيشونها بإيمان، يصبحون علامة رجاء للجميع.

إذن، إن وجدنا أنفسنا في هذا الحزن، ربما نحتاج إلى أن نسأل أنفسنا: ما الذي أتشبث به حقاً؟

(السؤال الثالث) «ماذا تعني التربية على الرجاء»؟

مونسينيور چوڤاني باكوزي. لقد كانت المحاولة على مدى هذه الأيام الثلاثة بالتحديد هي إعطاء إشارة إلى كيفية تربية الذات على الرجاء من خلال اتباع الأب چوساني. فقد رأينا في الأمسية الأولى أن نقطة الانطلاق هي أن نأخذ على محمل الجد الرغبة التي تُكوِّنا، «ذلك الدافع الذي لا يمكن كبحه لتحقيق الذات»، ذواتنا، كما يقول الأب چوساني في ذلك النص الذي أصبح مشهوراً هذه الأيام مع أنه كان موجوداً منذ زمن طويل، في كتاب ''إحمل الرجاء'' ولكننا نبتعد بسهولة عن هذه الرغبة التي تكوّننا، ونُعرِّفها، كما قال الأب چوساني، بـ «الغرائز المتورمة»، ونترك أنفسنا لـ «تفاهات التوسعات المريحة»، أو لفلاسفة الرواقية.

لقد أظهر لنا درس صباح الأمس أن أقوى من هذا هو اللقاء مع ذاك الذي هو النعمة التي تجعل الرجاء ممكناً في حياتنا، لا على الطريقة البشرية، الهشة جداً، بل بالوقوف على الصخرة، والتثبيت في مرساة حضوره. لذلك، فإن التربية على الرجاء تعني التطلع إلى المسيح. لا توجد طريقة أخرى للنمو في الرجاء.

في درس بعد الظهر، تساءلنا كيف يصبح الرجاء نسيج الحياة، أي الثقة التي بها يعيش المرء كل شيء. من خلال عبور الفقر. لكن الفقر، ليس كتخلٍّ، بل كاكتشاف أن الأشياء هي علامة، وأن كل شيء هو علامة وبالتالي هو مقدس. وعند نقطة معيّنة، عندما شرحتُ بالأمس كيف أن فكرة المقدّس في تاريخ البشرية وُلِدتْ بالتحديد من الرغبة في رؤية كل شيء مادي، حتى أصغر الأشياء، كعلاقة مع السر، قلتُ وأكرّر: فكّروا في معنى أن ننظر إلى كل شيء، وإلى كل انسان، معترفين به كمقدّس، أي كوسيط للعلاقة مع المسيح. وهذا يغيّر كل شيء! عندئذ، نعم، يمكن للانسان أن يعيش في تلك الثقة

التي هي التسليم بإدراك لكل شيء على أنه هبة معلّقة ومرتبطة بنعمة الله اللامتناهية التي يهبها لنا في هذه اللحظة، ولا نعود عبيداً بل أحراراً.

لذلك، دعونا نقول بأن الجواب على هذا السؤال – ماذا يعني أن نتعلّم الرجاء؟ – هو أن نعيش انتماءنا للمسيح في هذا التاريخ الذي وصل إلينا. والوعد هو أن نكون قادرين على العيش بتلك الثقة التي تجعل كل ظرف خفيفاً، والتي، كما انتهينا بالأمس، تُطلِقنا إلى الرغبة في إيصالها للجميع: احتفال يصبح رسالة.

(السؤال الرابع) «لقد قِيل لنا ألا نهمل أي جانب من جوانب الواقع (العمل والعواطف والأصدقاء) وفي الوقت نفسه أن نكون فقراء. ولكن ما هي العلاقة الصحيحة التي يجب أن تكون مع الأشياء؟ وما هو المكان الذي يحتله العمل والعاطفة والأصدقاء وما إلى ذلك؟»

داڤيدي بروسبيري. أتفق على ما قاله الأب چوڤاني للتو. بالنسبة لي على الأقل، فإن التحدي الحقيقي للفقر هو محاربة الإغراء الذي لا يقاوم لامتلاك الذات. لأن امتلاك الأشياء، والتعلق بالأشياء كغاية في حد ذاتها، والرغبة في تكديس الخيرات كلها انعكاسات، في الأساس، للرغبة في السيطرة على الذات، في أن أكون مسيطراً على نفسي. إذ ليست المشكلة في الأشياء المادية، فهذه ليست إلا جانباً واحداً، لكنها ليست بالنسبة لي الجانب الذي يقيّدنا أكثر من غيره. إن الجانب الذي يقيّدنا أكثر من غيره هو مشاريعنا، وشعورنا بما هو صواب أو خطأ، أي الطريقة التي نستبعد بها الله من حياتنا، من حياتنا الحقيقية الملموسة، ونحصره على الأكثر في لحظات قليلة من الوحي الديني.

عندئذ يمكننا أن نفهم ما هي الصلة بين الثقة والتضحية – وهو سؤال آخر تكرر كثيراً بين الحاضرين – والذي ربطه الأب چوڤاني في المحاضرة بموضوع التربية بالرجاء. لأنه لكي نعيش الفقر في مقابل امتلاك الذات، من الضروري أن نثق في آخر خارج ذاتي، وأن نضع الثقة في ذلك الآخر. بالتأكيد، في «آخر» نعني به الله، ولكن من خلال الطريقة التي يجعل بها نفسه حاضراً ورفيقاً في حياتي، حضوراً حقيقياً، وليس فكراً، لأننا وحدنا لا نتغلب على تجربة الاستقلالية هذه.

بالطبع، هذا يتطلب التضحية. ولكننا نعلم جيداً أنها تضحية ليس بقدر ما يُطلب منا أن نتخلى عن شيء ما، بل بقدر ما نرى الربح المتضمن فيها، كما قلنا بالأمس: بحيث يتم الاعتراف بكل شيء مقدساً، أي أن يكون في علاقة مع المسيح. هذا الربح نراه متحققاً أو متحققاً بالفعل في الأصدقاء الذين يعيشون بيننا بمستوى معيشة مرغوب فيه، والذين يعيشون من أجل المُثُل العُليا، الذين نفهم أن المثل الأعلى بالنسبة لهم هو شيء ملموس. من ماذا نفهم أنه شيء ملموس؟ فيم يتكون هذا المكسب؟ ما هو هذه المائة ضعف التي وُعِدنا بها، والتي وعَدَنا بها يسوع؟ الحرية، الحرية! يمكن للانسان أن يُحبّ حقاً – دون أن يهمل أي جانب من جوانب الواقع، كما جاء في السؤال – الزوج والزوجة والأولاد، والعمل وما نفضّله والأشياء التي نشعر أنها ملكنا. بحرية. للأسف، غالباً ما نشعر أنه حتى العواطف، وحتى أهم الصداقات، في اللحظة التي تتغير فيها الظروف، تصبح قفصاً، أي أنها تأخذك بعيداً، وتغلق عليك ولا تسمح لك بأن ترى الاتساع والرحابة التي أُعطي لك من خلال التاريخ الذي وضعك فيه آخر. في حين أن التفضيل والقيمة الحقيقية للتفضيل هي في إنفتاحك على كل شيء، الذي يعلمك أن تحب كل شيء، ومن خلال أحد التفاصيل تتعرف على حب كل شيء كما لم تكن لتستطيع أن تحب كل شيء.

وإلا كان التفضيل ظلماً للذات وللآخرين، ولكن قبل كل شيء ظلماً لنفسك، لأنه سيسجنك شيئاً فشيئاً.

(السؤال الخامس) «أود طلب رأياً متعمقاً حول الانتماء إلى الوحدة مع أولئك الذين يعترفون بحضور المسيح فيهم. ماذا يعني وجودياً الانتماء «إلى الوحدة معهم» وليس إليهم؟ لقد قُلتَ في نهاية الدرس أن «وحدتنا هي أجمل وأعظم أشكال هذا الرجاء». كيف تكون الأجمل والأعظم؟ لقد قُلتَ هذا بعد أن حكيت عن الأب باولو بارچيچيا والأب بيلاندي والأب باولو ميلوسكي. كيف كشفت خبرتكم أن الوحدة بينكم هي أعظم وأجمل أشكال هذا الرجاء المسيحي؟»

مونسينيور چوڤاني باكوزي. أبدأ بهذا الأمر الأخير الذي يخصني بشكل مباشر أكثر من غيري. لقد نُلتُ نعمة خاصة: حتى الدعوة الكهنوتية، التي كانت شخصية بالكامل، وجدت نفسي أعيشها مع أصدقائي المقربين. كان الأمر حقيقةً شخصياً بالكامل؛ ففي الواقع، لم أقل شيئاً لأصدقائي عن الدعوة. وعندما ذهبت للمرة الأولى لمقابلة الأب بييرفرانشيسكو (Pierfrancesco)، لأنني كنت قد ذكرت له شيئاً عن التحقق من دعوتي الذي أردت القيام به، ووجدتُ بارچيچا (Bargigia) هناك – ولم يكن بعد الأب باولو – فسألته: «وأنت ماذا تفعل هنا؟ وهو سألني: «وأنت ماذا تفعل أنت هنا؟. وعندما التقيت أنا وباولو وأندريا بالأب چوساني بعد تخرجنا من المدرسة الثانوية، في سن التاسعة عشرة، وقبل دخول المعهد الإكليريكي بفترة وجيزة، قال لنا بصراحة شديدة: «في المعهد الإكليريكي لا تقوموا بالأشياء التي يقوم به أعضاء الحركة (CL). اتبعوا ما يُقترح عليكم»، ولأنه كان مكاناً هادئاً أيضاً، وبيئة جميلة ومُحمِسة حقاً. وكان رئيس المعهد الإكليريكي هو الأب جوالتييرو باسيتي (Gualtiero Bassetti)، وكان أسقف فلورنسا الكاردينال چوفاني بينيلي (Giovanni Benelli)، وهما شخصان استثنائيان. إذ قال لنا الأب چوساني: «اتبعوا الاقتراح الذي يُقدَّم لكم. عيشوا الوحدة فيما بينكم وليكن هؤلاء الأشخاص مرجعاً لكم»، وأعطانا أيضاً أسماء: كريستيانا ماراڤيليا (Cristiana Maraviglia) التي كانت تتبع آنذاك شبيبة الطلبة في فلورنسا، وليليه تيسكار (Lele Tiscar) الذي كان مسؤولاً عن الطلاب الجامعيين، والأب سيلفانو سيجي (Silvano Seghi) الذي كان مسؤولاً عن الحركة. وفعلنا ما طلبه منا. وعشنا خبرة قوية للغاية مع الحركة، على الرغم من أننا لم نشارك في أي من أعمال وأنشطة الحركة. ومن المفارقات أن مقر الحركة كان داخل المعهد الإكليريكي، وأتذكر أنني في أحد الأيام كنت أنظر من النافذة وفي الشارع كان هناك طلاب جامعيون – جميعهم من أصدقائي الذين كنا نعمل معهم في شبيبة الطلبة (Gioventù Studentesca) – يخرجون من المقر للقيام بمائة ألف عمل. وكنا داخل المعهد الإكليريكي. كنتُ أفكر كم كان من الجيد أن أكون معهم، ولكن ليس مع الأسف، بل كنتُ أفكر في أن وجودنا في المعهد الإكليريكي هو الطريقة التي كنا نبني بها نفس الشيء. وهكذا نما الوعي بيننا بأن الهدف من وحدتنا هو دعوتنا بالطاعة المتبادلة، إلى طاعة المسيح في تاريخ الحركة آنذاك.

وفي يوم من الأيام، ونحن كهنة لفترة طويلة، ذهبنا في أجازة لكهنة فلورنسا. وكان فيها الأب تشيتشيو ڤنتورينو (Ciccio Ventorino)، الذي كان في ذلك الوقت يتبع جماعات فلورنسا وتوسكانا،

وقد جاء أيضاً. وفي نهاية الأجازة قال لنا: «أنتم لا تدركون ذلك، لكنكم تعيشون فضيلة خاصة: فضيلة الطاعة. فأنتم دائماً على استعداد لطاعة بعضكم البعض». لقد أدهشني هذا. ثم فكرت في الأمر وقلت في نفسي: هذا صحيح حقاً، نحن نطيع بعضنا بعضاً. لماذا؟ ليس الأمر أننا نطيع واحداً لأنه الرئيس. إننا نطيع ما يعطي شهادة به، وبالتالي نحن نُطيع يسوع. لكن لكي نطيع يسوع نحن بحاجة إلى هذه الرفقة الملموسة التي تشبه إلى حد ما مجموعة الأخوية: ليس لها أي ادعاء بأن تكون بديلاً لموضوعية السلطة في الحركة وفي الكنيسة، بل هي للمساعدة المتبادلة لإتباع من يضعه الرب في هذه اللحظة مسؤولاً عن الحركة في ذلك التاريخ.

لذلك، ورغم كل اللحظات الصعبة، فإن الوحدة الموجودة في تاريخنا لن أغيرها مقابل أي شيء في العالم. وعندما يتحدّث الأب چوساني عن القيادة والسلطة يشرح بأن القيادة هي هذه الرفقة اليوميّة حيث يدعونا من هو بجانبنا إلى المُثل العُليا؛ فهناك شخص يدعونا إلى المُثل العُليا بطريقة معيّنة، لذلك أتبعه. ولكنني أتبعه لأنني أريد أن أتبع وحدة وموضوعية السلطة. إذ أن وضع القيادة والسلطة كبديلين لا معنى له، لأن المسيح حاضر في هذه الوحدة.

كانت الصداقة بيننا نحن الكهنة عوناً دائماً لي في اتباع المسيح، ولا تزال كذلك حتى اليوم، وإن كنا الآن لا نتشارك الحياة اليومية كما في لحظات كثيرة في الماضي، لكن القيمة تبقى هي نفسها، لأننا نستطيع أن نرى بعضنا البعض مرة في السنة، وربما نذهب في عطلة معاً، وتكون تلك الأيام بنفس القوة التي كنا فيها معاً دائماً، لأن الأفق واحد. وما نعيشه في وحدتنا نعيشه في وحدتنا مع الأشخاص الذين أعطاهم الله لنا.

أعلم أن العديد من أصدقائي يتلقون في هذه الساعات رسائل من نصف إيطاليا: «أوه، دعنا نلتقي بالأب چوڤاني، فنحن نريد أن ندعوه إلى أجازاتنا». أنا لن أذهب! لن أذهب لأنني موضوعياً لا أستطيع الذهاب. لإنا لدي أُبرُشية لأقودها ولا يمكنني إهمالها. لكن ما أريد أن أقوله هو أن الكاريزما (الموهبة) تعيش وتتواصل دائماً بطريقة جديدة وكاملة في وحدتنا: لذلك في اتباعها، وفقاً للوحدة الملموسة لرفقتنا، هناك بالفعل كل ما نحتاجه لاختبارها بشكل كامل ومثير للدهشة دائماً. ومع ذلك، لا يمكنني أن أذهب إلى جميع أجازات الحركة، على الرغم من أنني قمت بالوعظ في الرياضة الروحية فقد أصبحت «مطلوباً مثل الموضة» وأثير الفضول! لقد قاموا بمخاطرة كبيرة عندما طلبوا مني ذلك.

داڤيدي بروسبيري. انتهت بنتيجة إيجابية!

مونسينيور چوڤاني باكوزي. إنها الوحدة التي بيننا هي التي تبني، فلنساعد بعضنا بعضاً لنرى ونتبع ما قاله لنا قداسة البابا في رسالته الأخيرة، الطريق الذي نسير فيه في زمننا هذا. بهذا المعنى، فإن اللقاء بعد رسالة قداسة البابا، في رأيي، يحتوي على بعض الأمور الأساسية للظرف التاريخي الذي نعيشه. الاتباع لا يعني السير وراء موضة اللحظة وأن ما يعطينا الرجاء هو الوحدة، والانتماء إلى هذه الوحدة، إلى حقيقة هذا التاريخ العظيم، الذي ظل الكاردينال فاريل بالأمس مندهشاً أمامه بعيون واسعة، ونحن أيضاً، جاشت عواطفنا. إنه التاريخ العظيم التي وضعنا فيه الرب.

داڤيدي بروسبيري. في النهاية، هذا هو الشيء الذي أعتزبه في قلبي: تحديد وحدة المسيرة بأكملها الذي سلكناها هذا العام، إنطلاقاً من الرياضة الروحية العام الماضي إلى رسالة قداسة البابا وإلى مضمون ومحتوى هذه الرياضة الروحية. فلا يمكن للانسان أن يفهم العلاقة بين الوحدة والرجاء إذا لم ينطلق من الإيمان. وعلى وجه الخصوص، أريد أن أتوسع في أحد جوانب العلاقة بين الوحدة والمسار والمدى، وديناميكية الإيمان والرجاء، والتي بدونها لا يمكن تبرير أي شيء مما نقوله. إذ يُشير توضيحي هذا إلى سؤال متكرر جداً أُثير في الأشهر الأخيرة وقد أثرته يا أبونا چوڤاني، في إحدى محاضراتك بقولك إن الوحدة هي هبة. وهذا صحيح، وكلنا نراها، وكلنا نعلم أنها مستحيلة بالنسبة لقوتنا. ولكن لماذا دعانا قداسة البابا إذن إلى الاهتمام بالوحدة، وما هو معنى هذا الاهتمام بالوحدة وما علاقته بالإيمان والرجاء؟ أود أن أبدأ بقراءة فقرة صغيرة من رسالة القديس بولس إلى أهل أفسس: «وَهُوَ قَدْ وَهَبَ الْبَعْضَ أَنْ يَكُونُوا رُسُلاً، وَالْبَعْضَ أَنْبِيَاءَ، وَالْبَعْضَ مُبَشِّرِينَ وَالْبَعْضَ رُعَاةً وَمُعَلِّمِينَ. لِتَأْهِيلِ الْقِدِّيسِينَ مِنْ جِهَةِ عَمَلِ الْخِدْمَةِ، لِبُنْيَانِ جَسَدِ الْمَسِيحِ. حَتَّى نَصِلَ جَمِيعاً إِلَى وَحْدَةِ الإِيمَانِ وَوَحْدَةِ الْمَعْرِفَةِ لابْنِ اللهِ، إِلَى إِنْسَانٍ تَامِّ الْبُلُوغِ، إِلَى مِقْدَارِ قَامَةِ مِلْءِ الْمَسِيحِ. وَذَلِكَ حَتَّى لاَ نَكُونَ فِيمَا بَعْدُ أَطْفَالاً تَتَقَاذَفُنَا وَتَحْمِلُنَا كُلُّ رِيحِ تَعْلِيمٍ يَقُومُ عَلَى خِدَاعِ النَّاسِ وَالْمَكْرِ بِهِمْ لِجَرِّهِمْ إِلَى الضَّلالِ الْمُلَفَّقِ بَلْ نَتَمَسَّكَ بِالْحَقِّ فِي الْمَحَبَّةِ، فَنَنْمُوَ فِي كُلِّ شَيْءٍ نَحْوَ مَنْ هُوَ الرَّأْسُ، أَيِ الْمَسِيحِ». انتبهوا كيف يتابع القديس بولس قائلاً: «فَمِنْهُ يَسْتَمِدُّ الْجَسَدُ كُلُّهُ تَمَاسُكَهُ وَتَرَابُطَهُ بِمُسَانَدَةِ كُلِّ مَفْصِلٍ وَفْقاً لِمِقْدَارِ الْعَمَلِ الْمُخَصَّصِ لِكُلِّ جُزْءٍ، لِيُنْشِيءَ نُمُوّاً يَؤُولُ إِلَى بُنْيَانِ الْجَسَدِ بُنْيَاناً ذَاتِيّاً فِي الْمَحَبَّةِ.».[١٤٩]

إذن، هذا يلخّص كل المسيرة التي قمنا بها هذا العام، لأن الإيمان الناضج هو وحده القادر على الاهتمام بالوحدة فيما بيننا، بحيث ينمو الجسد كله متماسكاً ومترابطاً بشكل جيد من خلال المساعدة التي تقدمها كل المفاصل. لكن، يضيف القديس بولس، لا يكفي أن نقول «الإيمان» لكي يكون ناضجاً. فنضوج الإيمان، في الواقع، يقابله إيمان غير ناضج، كأطفال تتقاذفهم كل ريح من رياح التعاليم من أجل خداع البشر. وفي الواقع إننا نرى جيداً كيف نتعرض كل يوم لما أسماه الأب چوساني «قوة السلطة». فهي تعمل في كل وقت، وربما اليوم أكثر من أي وقت مضى، في بعض النواحي، لأنها تفعل ذلك بطريقة أكثر دهاءً وصمتاً، فتجعل نفسها جذابة. فالشيطان لا يصفعك بل يجعل نفسه جذاباً من خلال عرض خيرات سخية، ولكن في مقابل ولائك لسلطته وعقائده، إلى درجة أن يجعل رؤيته للأشياء هي رؤيتنا نحن.

وهنا، أعتقد أن هذه هي اليوم ربما النقطة الأكثر اشتعالاً على جميع المستويات، بالنسبة للكنيسة أيضاً، وبالتالي بالنسبة لنا أيضاً. أودّ أن أقرأ لكم رسالة أُشير إليّ بها، كتبها الأب چوساني إلى مجموعات حركة الشراكة والتحرر في عام ١٩٧٩، عندما لم يكن قد تم الاعتراف بالأخوية بعد، مباشرةً بعد أول مقابلة له مع قداسة البابا يوحنا بولس الثاني: «أيها الأصدقاء الأعزاء، كما سمعتم على الأرجح، لقد نُلتُ نعمة عظيمة عندما استطعت التحدث بإسهاب مع قداسة البابا عن حياتنا وما نود أن نكون عليه في هذه الكنيسة الحبيبة وهذه الأرض الحبيبة. وبينما كنت واقفاً أمامه، سألت نفسي:

[١٤٩] أف ٤: ١١-١٦

ما السبب الذي تقدمه حياتي في نظر قداسة البابا لكي يمنحني كل هذا؟ السبب هو حياتكم، حياتكم جميعاً يا أصدقائي ورفاقي في المسيرة، وإيمانكم جميعاً، والتزامكم الجاد، وسخائكم، وقدرتكم على التضحية. هذا هو السبب الحقيقي وراء استقبالي. وقد امتلأتُ بالرهبة والخجل من نفسي، والامتنان لقداسة البابا ولكم.

أودّ أن ألخّص لكم الرسالة التي تتردّد أصدائها في اهتماماته وموقفه: ١) يسوع المسيح هو حقيقة الانسان بكليته، والإيمان هو شكل الحياة والعمل». وقلنا في هذا العام: أن الإيمان هو الذي يُشكِّل الحياة. «٢) إذن ليس هناك الإيمان من جهة و الاهتمامات والتزامات الحياة والعمل من جهة أخرى. لا. فالإيمان هو مصدر معيار التعامل مع جميع مشاكل الوجود الانساني، وفي الإيمان يجب أن نؤصّل سلوكنا في البيئة التي هي بمثابة التربة التي تنمو فيها جميع المشاكل». وقد تساءلنا في هذه الأشهر الأخيرة عن العلاقة بين الإيمان والحضور في البيئة. «وعلى وجه الخصوص، من الضروري أن يعبّر الإيمان عن نفسه كثقافة. ففي الواقع، أن الثقافة هي التي تحدد وجه الشعب وتعبر عن تاريخه. لا يجب أن يكون لإيماننا ''عقدة نقص'' في مواجهة الثقافة السائدة».

لذلك، نحن بحاجة إلى التفكير في كيف نضع أنفسنا في مواجهة الثقافة السائدة، والتي اعتاد الأب جوساني أن يسميها «قوة السلطة». إن المحاولات التي نقوم بها بمجلة «آثار» **Tracce** ـ وقد أشار مونسينيور جوفاني أيضاً إلى هذا الأمر بالأمس – ونشاط المراكز الثقافية واللقاء (**Il Meeting**) هي بعض الأمثلة للتعبير عن الإيمان كثقافة، ومن هذا المنظور علينا دعم هذه المحاولات. ويتابع الأب جوساني بقوله: «لقد قلنا دائماً أنه لكي نتحقق من إيماننا ونجعله ناضجاً (ها نحن هنا!) ينبغي علينا أن ننخرط في حدث يعيش فيه الإيمان إلى درجة أن تأتينا الرغبة والنور والشجاعة لاتباعه». ويخلُص إلى القول: «يا أصدقائي، في عالم تاه فيه الإيمان وشاع فيه الظلم كثيراً، لننفض عنا الجمود ولنكسر أنانيتنا ولنتخلص من برجوازية سطحية الفكر والتعصب وعدم وجود العمق الروحي».[١٥٠]

ما هو الإيمان الناضج إذن؟ لقد سمعنا ذلك للتو في كلمات الأب جوساني: إنه إيمان منخرط في «حدث يعيش فيه». إذن، باختصار، وبالتفكير في كل المسيرة التي قمنا بها، يمكننا أن نقول ما يلي: أن الإيمان الناضج هو إيمان متجذر بعمق في صداقة المسيح. هذه الصداقة هي التي تفتحنا على كل شيء، هي التي تفتحنا على الحق، على معرفة الحق ومعرفة ما هو حق، ومعرفة ما هو باطل وما هو ضلال، وتسمح لنا بأن لا تتقاذفنا كل رياح عقائدية. لقد كتبتُ هذا أيضاً في الرسالة التي أرسلتها إلى أبنائنا شبيبة الطلبة: إن صداقة يسوع التي تُولِّد الصداقة فيما بيننا التي تتميز بعاملين أساسيين. أولاً، مشاركة معرفته: «لقد أخبرتكم بكل شيء». ما كنا لنعرف حقاً أي شيء عن هذا السر الذي لا يمكن إدراكه لو لم يُكشف لنا اليوم. بواسطة من؟ بحضوره. بهذه المعرفة يعطينا أيضاً ثقته الكاملة. «لقد أخبرتكم بكل شيء»، كما أنه ليس هناك أسرار بين الصديق عن صديقه. نحن نعلم أن المعرفة في لغة الكتاب المقدس هي العلاقة.

فالمسيح يعطينا معرفته للآب، أي أنه يدخلنا في الشركة بين الآب والابن: والتي لا يمكن الوصول إليها بمجهودنا، مهما كانت رغبتنا الأكيدة في ذلك، فهي لا تتحقق إلا بمبادرته. وهذه هي الصداقة الحقيقية. وثانياً: أن نرغب في نفس الأشياء التي تستحق أن نرغب فيها ولا نرغب في الأشياء

[١٥٠] الأب لويجي جوساني، «لنخدم المسيح في هذا الانسان العظيم»، مجلة «رسائل التواصل» لحركة الشراكة والتحرر، عدد ٢م ١٩٧٩، ص ٢-٣

التي لا تستحق أن نرغب فيها، هذه هي الصداقة: المشاركة في مشيئته. وهنا يأتي دور حريتنا، وهنا تظهر هشاشتنا غالباً. ولكن هنا أيضاً، وأمام هشاشة حريتنا في التمسك بمخطط الله لحياتنا، هنا أيضاً أخذ المسيح المبادرة عنا وما زال يأخذها اليوم كما أخذها في ذلك اليوم، وحسم الأمر في بستان الزيتون: «يَاأَبِي، إِنْ شِئْتَ أَبْعِدْ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسَ. وَلكِنْ، لِتَكُنْ لاَ مَشِيئَتِي (هو، المتماثل تماماً مع إنسانيتنا) بَلْ مَشِيئَتُكَ»،[١٥١] شاهداً على تطابق مشيئته مع مشيئة الآب.

إذن الحياة الجديدة التي تُقدَّم لنا باتباعنا للمسيح هي جوهر الصداقة معه التي تصل إلينا بشكل ملموس من خلال وحدتنا داخل هذا التاريخ. ولهذا السبب أصررنا كثيراً طوال هذا الوقت على مركزية الشركة والوحدة، ليس فقط كدعم جانبي للخبرة الذاتية للإيمان، بل تحديداً كمضمون محوري للإيمان نفسه كي يكون ناضجاً.

(السؤال السابع) «لقد أدهشتني كثيراً صورة البهلوان الذي يستطيع، وهو واقف على رأسه، أن يرى الواقع معتمداً على الله الذي يصنعه الآن. أتساءل كيف يمكن للمرء «تدريب» نفسه على الحفاظ على هذا المنظور دائماً».

داڤيدي بروسبيري. كما يبدو لي أنها خاتمة جميلة لهذه المسيرة بأكملها. فأكثر ما جذب اهتمامي – وسيكون لدينا الوقت والطريقة لنستعرض كل تفاصيل المضمون والمحتوى الذي تم اقتراحه علينا – هو أن نرى ما هو الرجاء في أولئك الذين أرشدونا في تأملات هذه الأيام. فالرجاء هو فضيلة المسيرة. إنه ليس نقطة النهاية، وليس تخيُّل كيف سيتحقق الوعد، بل رؤية من هو في مسيرة، واثقاً وسائراً إلى الأمام مرفوع الرأس، حتى وسط كل مشاق الحياة وصعوباتها. وعندما تكون في مسيرة، هناك حالتان: إما أن تتقدم إلى الأمام عشوائياً أو أن تتبع.

إذن كيف ندرب أنفسنا على الحفاظ على هذا المنظور الذي ندرك فيه أن الواقع معتمد على الله؟ ينضُج هذا الوعي من خلال خبرة الطاعة وخبرة الاتباع، وهي ليست دعوة تأديبية. لقد ذكّرنا إنجيل يوحنا في يوم خميس العهد: «مِثْلَمَا أَحَبَّنِي الآبُ، أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا، فَاثْبُتُوا فِي مَحَبَّتِي. إِنْ عَمِلْتُمْ بِوَصَايَايَ، تَثْبُتُونَ فِي مَحَبَّتِي، كَمَا عَمِلْتُ أَنَا بِوَصَايَا أَبِي وَأَثْبُتُ فِي مَحَبَّتِهِ!. قُلْتُ لَكُمْ هَذَا لِيَكُونَ فِيكُمْ فَرَحِي، وَيَكُونَ فَرَحُكُمْ كَامِلاً». [١٥٢]

هنا المقطع الأخير من رسالة قداسة البابا حول الطاعة – والتي، بحسب ما رأيت من خلال اللقاء مع الجماعات لم تُفهم دائماً بشكل كامل، وربما اختُزلت إلى مسألة أخلاقية – يقدم لنا بالضبط شرط تحقق الفرح الكامل الموعود به في إنجيل يوحنا. يتابع الإنجيل: «وَصِيَّتِي [وصية!] لَكُمْ هِيَ هَذِهِ: أَنْ يُحِبَّ بَعْضُكُمْ بَعْضاً كَمَا أَنَا أَحْبَبْتُكُمْ. لَيْسَ لأَحَدٍ مَحَبَّةٌ أَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ: أَنْ يَبْذِلَ أَحَدٌ حَيَاتَهُ فِدَى أَحِبَّائِهِ. وَأَنْتُمْ أَحِبَّائِي إِنْ عَمِلْتُمْ بِمَا أُوصِيكُمْ بِهِ. لاَ أُسَمِّيكُمْ عَبِيداً بَعْدُ، لأَنَّ الْعَبْدَ لاَ يُطْلِعُهُ سَيِّدُهُ عَلَى مَا يَفْعَلُهُ. وَلكِنِّي قَدْ سَمَّيْتُكُمْ أَحِبَّاءَ [صداقة المسيح] لأَنِّي أَطْلَعْتُكُمْ عَلَى كُلِّ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي.». [١٥٣]

---

[١٥١] أنظر مت٢٦: ٤٢؛ مر١٤: ٣٦؛ لو٢٢: ٤٢

[١٥٢] يو١٥: ٩–١١

[١٥٣] يو١٥: ١٢–١٥

هكذا نفهم ما هو على المحك حقاً في مسألة الاتباع والطاعة: فإذا كان يسوع يشاركنا ما يسمعه من الآب ليتيح لنا معرفة سرّ الوجود الذي لا يمكن إدراكه، فهنا يكون الفرق بين طاعة الخادم وطاعة الصديق على المحك. «لقد دعوتكم أصدقاء». من يدعونا أصدقاء؟ ابن الله!

وهنا يكمن الفرق العميق بين طاعة الخادم وطاعة الابن، لأن الخادم لا يعرف قصد السيد وملكيته، فهو يُطِيع لأنه يجب أن يُطِيع، لئلا يُعَاقب ويُطرد، لأن له فائدة من ذلك، أما ما هو للسيد فليس له. أما الابن فهو وارثه أيضاً، فما ملكه الأب على وجه مخصوص فهو له وإن لم يملكه ملكاً تاماً، فهو ملك له وإن لم يملكه ملكاً تاماً بعد. لذلك فإن طاعة الابن مبررة من أجل امتلاك القيمة، أي المعنى الذي ينقله الأب إليه.

لهذا السبب نقول بأن الطاعة تعني الدخول في حياة الأب، والتماهي والتماثل مع الذات بكاملها، ومع الأسباب العميقة التي تحرّك الأب. لكن الابن يكون حراً مع الأب فقط عندما يدرك أنه محبوب. وهذا ما يُولِّد الحرية فينا، العلاقة المُولِّدة في النهاية لشخصي كإبن بأبيه. وهكذا، في طاعة السلطة في الكنيسة، كما في طاعة السلطة في صداقتنا، تتحقق هذه الحرية الحقيقية العميقة. لأن نمارس الحرية بالكامل في العلاقة مع السلطة، وإلاّ سيحاول المرء أن يُرضي السلطة، لكنه في النهاية من الناحية الوجدانية هو في مكان آخر، لأنه لا يؤمن بها، أو يتخلى عن نفسه وينقاد بشكل سلبي لما يتبعه دون أن يضع شخصه على المحك حقاً، والنتيجة أنه لا ينمو، ولا يصبح إيمانه ناضجاً، بل يبقى دائماً طفولياً ومراهقاً، لا يملؤه سوى همومه، لكن في النهاية دون أن يتحمل المسؤولية حقاً، كشخص بالغ، في أن يولّد، لأننا لا نُولد من أنفسنا. هذه الحرية ممكنة من خلال عيش الطاعة كأبناء داخل مسيرة يكون فيها ما هو موعود به هو لنا بالفعل، إنه ميراثنا.

وهذا اليقين هو الذي يجعلنا نتبعه بفرح وأمان، حتى عندما لا نرى المسار كله على الفور أو عندما تجعلنا بعض الأمور نعاني. أُصِرُّ على أن هذه الطاعة لها دافع واحد فقط: أن نصبح عظماء، أن نصبح – كما قلنا في يوم بداية العام، متذكرين كلمات الأب چوساني – آباء وأمهات بدورنا. وهنا نرى كم من مرّة تثور فينا الاعتراضات: «نعم، ولكنني لست قادراً، أنا مسكين، لا أعرف كيف أفعل شيئاً، وأنا مليء بالحيرة، أنا لا أوافق، أنت تؤذيني، أنا مخطئ تماماً». تشجع يا صديقي، تشجع! لست أنت ولا أنا من يصنع الواقع، لست أنا من يصنع كل الأشياء. وأنا لا أصنع نفسي كما أنا. أنا هو أنا. إذ أن الواقع هو من صُنْعِ آخر بالفعل!

إذن ليس هناك عذر. هل أنت سقطت؟ إنهض وقف على قدميك من جديد! هل تعاني؟ نحن نعاني أيضاً! ألا تستطيع أن ترفع عينيك عن قدميك؟ انظر أمامك، إنه يمرّ أمامك من أحبك حباً أبدياً وقدوس اسمه! تعال معنا، لنذهب ونموت معه![١٥٤] لأن الإنسان القديم يجب أن يموت، وكبرياءنا يجب أن يموت، واكتفاءنا الذاتي يجب أن يموت، وعدم صبرنا يجب أن يموت، إذا أردنا أن تُولد فينا الحياة الجديدة التي لا يمكن أن يهبنا إياها إلا المسيح.

* * *

[١٥٤] راجع «لنذهب نحن أيضاً لنموت معه» (يو١١: ١٦)

أقدم لكم الآن تنويهاً هاماً. إن الأمر يتعلق بخبر نشرته أبرشية ميلانو منذ قليل في وسائل الإعلام.

سيعقد رئيس أساقفة ميلانو، المونسنيور ماريو ديلبيني (Mario Delpini)، يوم الخميس الموافق ٩ مايو ٢٠٢٤، في الساعة الخامسة مساءً، في كنيسة القديس أمبروزيوس (Basilica di Sant'Ambrogio)، الجلسة العلنية الأولى لمرحلة الشهود في قضية تطويب وإعلان قداسة خادم الله لويجي چوساني. إننا نرحب بهذا الخبر المنشود بفرح كبير. إنها خطوة أساسية في إجراءات تطويب أبينا العزيز چوساني.

كانت المرحلة الأولى من الاجراءات، أو ما يسمى بالمرحلة الوثائقية، التي بدأت في عام ٢٠١٢، وهي عبارة عن تحقيق لاهوتي، تم الانتهاء منه بشكل إيجابي، ومن تحقيق تاريخي واسع ومعقد، وهو الآن في مرحلة متقدمة جداً.

الآن، عندما تنتهي مرحلة الشهود، التي ستبدأ في ٩ مايو، سيتم إرسال الوثائق التي تم جمعها إلى المجلس البابوي المختص بقضايا القديسين، في الفاتيكان، حيث سيتم التحقق من العمل الذي قامت به أبرشية ميلانو، وستتبعها المراحل الأخرى التي تتوخاها القواعد، حتى القرار النهائي لقداسة البابا بإعلان خادم الله الأب چوساني مُكرماً ومبجلاً (Venerabile).

وقد صرح المونسنيور إينيو أبيشيتي (Ennio Apeciti) رئيس الدائرة الأبرشية لقضايا القديسين صباح اليوم بشكل خاص، أنه في نهاية مرحلة الشهود «سيسمح الفحص الدقيق لأعجوبة منحها الله بشفاعة خادم الله للحبر الأعظم بإعلان المونسنيور لويجي چوساني طوباوياً (Beato)، وأعجوبة ثانية، بعد تطويبه، لإعلانه قديساً للكنيسة».

كما أوضحت الأبرشية، بأن اختيار تاريخ ٩ مايو ٢٠٢٤ والمكان، أي كنيسة القديس أمبروزيوس، لعقد الجلسة العلنية الأولى لمرحلة الشهود، جاء من قِبَلْ رئيس الأساقفة لأسباب مرتبطة بشخصية الأب چوساني نفسه: «كما يشرح المونسنيور أبيشيتي بأن «عيد الصعود الذي يوافق التاسع من شهر مايو ٢٠٢٤ كان عزيزاً بشكل خاص على الأب چوساني، وبدت كنيسة القديس أمبروزيوس هي المكان الأنسب للتعبير عن ارتباط كاهن بالقديس أمبروزيوس ''شفيعه الأكبر''. وأخيراً، نظراً لقرب الكنيسة من الجامعة الكاثوليكية للقلب الأقدس يريد أن يحيي ذكرى المكان الذي قام فيه خادم الله لسنوات عديدة بتكوين أجيال من الشباب، ونقل إليهم حبه الشديد للكنيسة».

نحن ممتنون بعمق لرئيس أساقفة ميلانو، مونسينيور ديلبيني، والمونسنيور أبيشيتي، والأستاذة كيارا مينيللي (Chiara Minelli)، وجميع الأشخاص المشاركين في القضية لجعل افتتاح هذه المرحلة الجديدة ممكناً. وبالطبع نحن ممتنون جداً أيضاً للبابا فرنسيس، للاهتمام والتقدير الذي أعرب عنه مراراً وتكراراً، علناً أيضاً، لشخصية الأب چوساني وللمسيرة الذي تسيرها الحركة في هذه الفترة.

منذ الآن نضع بين يدي الكنيسة الرغبة التي لا يمكن كبحها والتي نحملها في قلوبنا في أن نرى الأب چوساني قريباً من بين طوباويي وقديسي الرب. إن المهمة التي نعطيها لأنفسنا هي تكثيف صلواتنا، من أجل خير القضية، ومن أجل أولئك الذين يشاركون وسيشاركون في هذه المرحلة من القضية وفي طلب شفاعة خادم الله لويجي چوساني بقوة أكبر في نيات صلواتنا.

القداس الإلهي

ليتورجية القداس الإلهي: أع ٣: ١٣ – ١٥. ١٧–١٩؛ مز ٤؛ ١يو ٢: ١ – ٥ ؛ لو٢٤: ٣٥–٤٨

عظة نيافة الأسقف مونسينيور فيليبو سانتورو
رئيس الأساقفة الفخري لتارانتو
والمفوض الخاص لجماعة حافظي ذكرى الرب المكرسين

كنتُ قد أعددتُ عظة الأحد الثالث من زمن القيامة، ولكن بعد الأخبار التي سمعناها للتو انفتح منظور جديد تماماً. فالفرح الذي شعر به الرسل في رؤية الرب يسوع القائم من بين الأموات هو فرحنا نحن أيضاً في استقبال خبر فتح مرحلة الشهود، وهي خطوة هامة نحو تطويب خادم الله الأب لويچي چوساني وإعلان قداسته. يأتي هذا الفرح الكبير من حقيقة أن الكنيسة تعترف بأن هذا الابن من أبنائها عاش حياته اليومية في حضرة الرب، متأثراً بمحبته ومتأثراً بخبرة الكلمة المتجسد، مركز الكون والتاريخ، الرب القائم من بين الأموات والحيّ في وسطنا. كما تعترف الكنيسة بكَيف أنه أوصل كل هذا إلى طلبته الأوائل بمدرسة بيرشيه الثانوية، ثم إلى كل واحد منا.

عندما تفتح الكنيسة إجراءات التطويب والتقديس، فإن الكنيسة لديها شخص معين حاضر بشكل مباشر. ومع ذلك، فإن النعمة المعطاة للشخص تمتد إلى كل العمل الذي ألهمه أو ألهمت به، ولهذا السبب نحن نستنير بهذا الفرح الاستثنائي. بالإضافة إلى العلامات الواضحة التي أعطتنا إياها الكنيسة بالاعتراف بالأخوية عام ١٩٨٢ و بجماعة العلمانيين المكرسين «حافظي ذكرى الرب» (Memores Domini) في عام ١٩٨٨، نحن الآن أمام علامة أخرى تحثنا على أن نهب حياتنا كلها للرب، متبعين الطريق وشكل التعليم الذي أُعطينا إياه.

يساعدنا إنجيل اليوم على فهم أسباب فرحنا. إذ نرى الرسل في البداية مصدومين وممتلئين خوفاً لأنهم ظنوا أنهم رأوا شبحاً. ومصدومين وممتلئين خوفاً من مواجهة الحياة وحتى ظهور الرب ذاته. فيقوم يسوع بثلاثة أمور: أولاً يُظهر يديه ورجليه، ويقول: «انظروا إلى يديَّ ورجليَّ». هذا هو الفعل الأول الذي يستخدمه: «انظروا». فجميعنا مدعوون للنظر إلى ما حدث لنا، وإلى علامات حضوره. «اُنْظُرُوا إِلَى يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ، إِنَّهُ أَنَا حَقًّا!». ثم هناك فعل آخر: «إلمسوني». من خلال اللقاء مع الموهبة (الكاريزما) ومع الأب جوساني ومع الموهبة التي وِلدت منه بعمل الروح القدس، لقد لمسنا السرّ، ولم تعد حياتنا كما كانت. لقد تم النظر إلينا، ولكن تم النظر إلينا كما تنظر الأم إلى طفلها، كما ينظر الأب إلى طفله، كما ينظر إلينا بحنان، كما ينظر إلينا يسوع. لقد تأثّرنا بخبرة ملموسة وبصوتٍ، وبلقاء وبعلاقة، ثم بعلامة الوحدة التي أوصلها إلينا ذلك اللقاء. ومن خلال خبرتي، التقيت بالعديد من الأشخاص في البرازيل، وأيضاً في إيطاليا، الذين قالوا لي: «نحن لم نلتقِ بالأب چوساني، ولكن من خلال الشهادة التي تقدموها لنا، يبدو الأمر كما لو كان هنا بيننا. إنه حضور وثمرة الموهبة (الكاريزما). «ولكن بما أنهم لم يؤمنوا بعد [على الرغم من أن الفرح قد انفجر] وامتلأوا من الدهشة، قال: «هل

لديكم شيء للأكل هنا؟ فَقَدَّمُوا لَهُ جُزْءًا مِنْ سَمَكَةٍ مَشْوِيَّةٍ، فَأَخَذَهَا وَأَكَلَهَا أَمَامَهُمْ». وهنا فعل آخر: «فَأَكَلَ». لقد شاركنا في هذه المناولة وفي هذا العشاء وفي هذه الحياة. بأن ننظر ونلمس ونأكل. لقد تغذّينا على حضور بلغت ذروته في سر الإفخارستيا.

كان عيد فصحنا هو اللقاء الذي أقمناه: ولم تعد الحياة كما كانت. أن ننظر ونلمس ونتغذى. هناك استمرارية بين لقاء يسوع القائم من الموت مع الرسل ولقاء الأب چوساني معنا. والآن، بعد أن سمعنا الخبر، أقول: لا يجب علينا الآن أن نصلّي من أجل أن تنفتح القضية بل يجب أن نصلّي إلى الآب، بشفاعة الأب چوساني، لكي تكون خبرتنا أكثر صدقاً، لكي نعيش نحن أيضاً ما عاشه هو، ونعيشه بالكامل في ظروف الحياة الملموسة، في الأكل والشرب، في العائلة، في هبة الحياة الكاملة للرب. علينا أن نطلب من الأب چوساني أن يتشفع لنا، من أجل خبرتنا، من أجل المهمة التي أوكلها لنا قداسة البابا في خدمة الوحدة والحفاظ عليها، لكي يدفعنا إلى أقاصي الأرض. عندما تُوجَّه إلينا الدعوة، كما تكرر هذا الصباح، للذهاب في رسالة – كما حدث لي أيضاً – فهذه هي أعظم نعمة يمكن أن تحدث في الحياة. لذلك علينا أن نرفع الصلاة إلى الرب من أجل خادم الله الأب چوساني، لكي يكون قريباً منا في مسيرتنا، في الوقت الحاضر.

من خلال الأب چوساني تشكّل هذا الجسد السري في الكنيسة وفي شركة الكنيسة. ومن خلال شهادة المونسنيور چوفاني باكوسي (Giovanni Paccosi) لمسناه نحن أيضاً واختبرناه مرة أخرى، هنا، في هذه الرياضة الروحية، لأن الفصح هو الآن، الفصح هو في هذا اليوم وهو في هذه المسيرة. لقد صُدم الكاردينال فاريل بمشهد العشرين ألف مشارك في هذه الرياضة الروحية، وكرر ذلك الليلة الماضية على العشاء، وقد صُدم بالأسلوب والصمت والتأمل والوحدة. هذا الجسد المكوّن من العديد من الأشخاص، فهو ليس كتلة مجهولة، بل مكوّن من كل واحد منا وهو واحد وقلب واحد وروح واحدة.

وقد تأثرت كثيراً عندما تحدث مونسينيور چوڤاني عن حياته ودعوته وتاريخه ورسالته وأسقفيته ومهمته في أمريكا اللاتينية وعندما تذكر أندريا أزياني والأب باولو بارچيچيا، كعلامات لما يحدث في أماكن كثيرة في تاريخنا. ثم تحدث لنا عن القصة العظيمة للمبشرين الفرنسيسكان الذين نزلوا في قوارب من أوكوبا، من جبال الأنديز في بيرو بطول أنهار الأمازون، لأنهم أدركوا أن يسوع قد قام، ليعلنوه. وإذ أخبرنا بذلك، شعرنا أن هذا الأمر يحدث الآن، يحدث لكل واحد منا. إنها بالتحديد الثمرة الأعظم لعيد الفصح. بالنسبة للأب چوساني، بلغ الفصح ذروته بالنسبة لبطرس في نعم بطرس على بحيرة طبريا، حيث كان أول لقاء بينهما؛ نظر يسوع إلى بطرس وقال له: «يا سمعان بن يونا، هل تحبني؟». هذا هو ذروة عيد الفصح، السؤال الذي يطرحه أيضاً على كل واحد منا: «لقد رأيت كل هذه الأشياء العظيمة والجميلة. ولكن هل تحبني؟ وقد تعلّمنا من الأب چوساني، مدفوعين بالروح، أن نجيب كما فعل هو: «نعم، أنت تعلم أني أحبك». وهذا يثير الرجاء، وهكذا نحمل الرجاء إلى العالم.

رسائل تلغرافية من الحركة

إلى صاحب القداسة البابا فرنسيس

صاحب القداسة،

اجتمع حوالي ٢١٠٠٠ مشارك بالحضور الشخصي في إيطاليا وجماعات بالخارج من ٢١ دولة في العالم بالتواصل المرئي عبر الأنترنت، بالإضافة إلى حوالي ٣٠٠٠ مشارك بالتواصل المرئي عبر الانترنت من منازلهم لعدم قدرتهم على التنقل، لإقامة الرياضة الروحية لأخوية الشراكة والتحرر هذه الأيام.

كان عنوان الرياضة الروحية هو «ما يثير دهشتي، يقول الله، هو الرجاء» (شارل بيجي) وقد قام بإلقاء العظات نيافة المونسينيور چوڤاني باكّوزي، أسقف سان مينياتو. لقد كانت فرصة لنا جميعاً، يا صاحب القداسة، لإعادة اكتشاف حاجتنا إلى الاعتراف بالمسيح في حياتنا. وأن ندرك أنه لا يمكننا أن نكون في رجاء إلا لأنه حاضر.

لقد قدم لنا المونسنيور باكوزي مسيرة التعرف والاعتراف هذه وجعلنا ندرك أنه فقط في أحضان الكنيسة، من خلال شكل الرفقة التي ولّدتها موهبة الأب چوساني التي نحن منغمسون فيها، ونبقى مرتبطين بالحضور الموضوعي للمسيح القائم من بين الأموات. لقد كان حضور نيافة الكاردينال الكاردينال فاريل علامة تعزية واضحة لمسيرتنا الإيمانية في الانتماء إلى الكنيسة الواحدة التي نعيش من أجلها والتي بدونها لا وجود لنا. فالمسيح يستخدم رجاءنا لإظهار وجهه للجميع، ولا يمكننا إلا أن نكون «خداماً لهذا الرجاء». ونتمنى في هذه المسيرة أن ترافقنا أمنا مريم العذراء، ونحن على يقين كما ذكّرنا الأب چوساني بأنه «بدون السيدة العذراء لا يمكننا أن نكون متأكدين من المستقبل، لأن أمن المستقبل يأتي إلينا من المسيح».

ونحن ممتنون للبركة التي أرسلتموها قداستكم لنا، ومتشوقون لأن يستحوذ المسيح علينا كل يوم، ونواصل جميعاً الصلاة من أجل قداستكم.

داڤيدي بروسبيري

إلى سعادة الكاردينال الجليل ماتيو تسوبي (Matteo Zuppi)
رئيس مجمع أساقفة إيطاليا

سعادة الكاردينال،

اجتمع حوالي ٢١٠٠٠ مشارك بالحضور الشخصي في إيطاليا وجماعات بالخارج من ٢١ دولة في العالم بالتواصل المرئي عبر الأنترنت، بالإضافة إلى حوالي ٣٠٠٠ مشارك بالتواصل المرئي عبر الانترنت من منازلهم لعدم قدرتهم على التنقل، لإقامة الرياضة الروحية لأخوية الشراكة والتحرر هذه الأيام.
كان عنوان الرياضة الروحية هو «ما يثير دهشتي، يقول الله، هو الرجاء» (شارل بيجي) وقد وعظهم نيافة المونسينيور چوڤاني باكّوزي، أسقف سان مينياتو.

لقد قدم لنا المونسنيور باكوزي مسيرة التعرف والاعتراف هذه وجعلنا ندرك أنه فقط في أحضان الكنيسة، من خلال شكل الرفقة التي ولّدتها موهبة الأب چوساني التي نحن منغمسون فيها ويمكننا أن نختبر الرجاء الحقيقي. نحن نريد خدمة الكنيسة «خداماً لهذا الرجاء». ونتمنى في هذه المسيرة أن ترافقنا أمنا مريم العذراء، ونحن على يقين كما ذكّرنا الأب چوساني بأنه «بدون السيدة العذراء لا يمكننا أن نكون متأكدين من المستقبل، لأن أمن المستقبل يأتي إلينا من المسيح».
أشكركم على قربكم وأطلب بركتكم وأحييكم بحرارة.

داڤيدي بروسبيري

إلى نيافة الأسقف نيكولو أنسيلمي (Nicolò Anselmi)

صاحب النيافة،

أشكر نيافتكم مرة أخرى على الأبوّة التي تعبّرون عنها دائماً لنا وعلى التحية التي أردتم توجيهها لنا شخصياً، وأكتب لأحيط نيافتكم علماً بأن الرياضة الروحية لأخوية الشراكة والتحرر – التي تحمل عنوان «ما يثير دهشتي يقول الله هو الرجاء» (شارل بيجي) – قد حضرها حوالي ٢١٠٠٠ مشارك بالحضور الشخصي في إيطاليا وجماعات بالخارج من ٢١ دولة في العالم بالتواصل المرئي عبر الأنترنت، بالإضافة إلى حوالي ٣٠٠٠ مشارك بالتواصل المرئي عبر الانترنت من منازلهم لعدم قدرتهم على التنقل.

لقد ساعدتنا عظات المونسنيور باكوزي، أسقف سان مينياتو، على الاعتراف بأننا راغبون في الرجاء، متأكدين أن المسيح وحده يستجيب ويجعل هذه الرغبة أكيدة. ونحن نريد في مسيرة الاعتراف هذه أن ترافقنا والدة الإله في هذه المسيرة ونحن متأكدين كما ذكّرنا الأب چوساني بأنه: «بدون السيدة العذراء لا يمكننا أن نكون متأكدين من المستقبل، لأن أمن المستقبل يأتي إلينا من المسيح». أحيي نيافتكم بحرارة وأطلب بركتكم من أجل مسيرة أخويتنا.

داڤيدي بروسبيري

الفن في صحبتنا

إعداد ساندرو كييريشي
(Sandro Chierici)

قصص القديس فرنسيس
بكنيســة أســـيزي العـليـا

تُظهر لنا قصص القديس فرنسيس التي رسمها الرسام چوتو (Giotto) وورشته على جدران كنيسة أسيزي العليا القديس كإنسان متغيّر ومغمور بالفرح والامتلاء بسبب اللقاء مع المسيح، ومندمج كلياً في التاريخ ويتصرف في واقع زمانه ومكانه، بوعيه لذاته ولمصيره. ويقدم القداسة كخبرة ممكنة للإنسان في جميع الظروف.

١) احترام إنسان بسيط
٢) إعطاء عباءته لرجل فقير
٣) رؤية القصر بالاسلحة التي تحمل علامة الصليب
٤) مصلوب كنيسة القديس دميانو يتحدث إلى فرنسيس
٥) التخلي عن الممتلكات
٦) حلم البابا إينوشنسيوس الثالث
٧) الموافقة على القانون
٨) فرنسيس فوق عربة النار
٩) رؤية العروش السمائية
١٠) طرد الشياطين من مدينة أريتسو (Arezzo)
١١) إمتحان النار أمام السلطان
١٢) الانخطاف الروحي للقديس فرنسيس
١٣) مغارة الميلاد بجريتشو (Greccio)
١٤) معجزة الينبوع
١٥) وعظ الطيور
١٦) موت الفارس من تشيلانو (Celano)
١٧) العظة أمام البابا أونوريوس الثالث
١٨) الظهور في الاجتماع العام في آرليس (Arles)
١٩) القديس فرنسيس ينال جروحات يسوع المصلوب
٢٠) موت القديس فرنسيس
٢١) التأكد من الجروحات
٢٢) وداع القديسة كيارا
٢٣) ظهور القديس فرنسيس في رؤية البابا غريغوريوس التاسع
٢٤) شفاء چوڤاني يليردا (Giovanni di Ylerda)
٢٥) إعتراف المرأة المُقامة من الموت
٢٦) تحرير الهرطوقي التائب

الفهرس

الموضوع	الصفحة
رسالة قداسة البابا إلى الحركة	3
مساء الجمعة ١٢ إبريل ٢٠٢٤	
التحية الافتتاحية	4
المقدمة – اشتياق لتحقيق الذات، ورغبة فطرية في السعادة	9
القداس الإلهي – عظة الأب ماورو ليبوري	18
صباح السبت ١٣ إبريل ٢٠٢٤	
التأمل الأول – من الرغبة إلى الرجاء المسيحي	21
بعد ظهر السبت ١٣ إبريل ٢٠٢٤	
التأمل الثاني – إبتهاج الفقير	38
القداس الإلهي – عظة سعادة الكاردينال كيڤين چوزيف فاريل	53
صباح الأحد ١٤ إبريل ٢٠٢٤	
الاجتماع العام	56
القداس الإلهي – عظة نيافة المونسينيور فيليبو سانتورو	72
رسائل تليغرافية من الحركة	74
الفن في صحبتنا	77

ترجمة : لوقا أسعد ناروز

© ٢٠٢٤ أخوية الشراكة والتحرر للنصوص الخاصة بالأب لويچي چوساني وداڤيدي بروسبيري وچوڤاني باكّوزي